

المثل الكامل والإسوة الحسنة

سيرة النبي ﷺ في معاشرته نساءه

للعامة

السيد محمد رشيد رضا

إعداد ودراسة وتحقيق

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة



مسيرة النبي ﷺ في معاشرته نسائه

كان رسول الله ﷺ المثل الكامل ، والأسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرته أزواجه بالمعروف ، والقسمة بينهما بالعدل في كل من المبيت ، والنفقة ، واللفظ والتكريم ، وفي احتمال غضبهن ، وغيرتهن ، وتنازعهن بالأناة والرفق ، والموعظة الحسنة . وكان يزورهن كلهن صباحاً للوعظ والتعليم ومساءً للمجاملة والمؤانسة ، وكن يجتمعن معه في بيت كل منهن . وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده .

قالت عائشة : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له ولا خادماً قط^(١) .

وسئلت : ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟

قالت : كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة^(٢) .

ولها أحاديث أخرى مفصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه . ومن وصفها له : كان ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان بساماً^(٣) .

وكان ﷺ إذا أراد السفر ضرب القرعة بينهما ، إذ لا يمكن السفر بهن كلهن ، وترجيح إحدهن يسخط سائرهن ، وإن كان فيها من المرجحات ما يقتضي الترجيح إذ لا يتساوى النساء في استعدادهن للسفر ومشقاته ، ولكنه لما حج أخذهن كلهن معه .

ولما مرض مرضه الأخير شق عليه أن يتنقل بين بيوتهن كل يوم كما كان يفعل في حال صحته فكان يسأل « أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ » . يريد

(١) رواه ابن ماجه [١٩٨٤] وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [١٦١٤] : صحيح .

(٢) أخرجه البخاري [٦٠٣٩] ، والمهنة بكسر الميم ويفتحها « الخدمة » .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣٦٥ / ١] .

يوم عائشة فأذن له أزواجه كلهن أن يكونن حيث شاء ، فاخترت بيت عائشة وفيه توفي^(١) .

وزوّي عنها أنه بعث في مرضه إلى نساءه فاجتمعن فقال : « إني لا أستطيع أن أدور بينكن فإن رأيتن أن تأذن لي أن أكون عند عائشة » فأذن له^(٢) ، ومن حكمة ذلك أن يدفن في بيتها ، وقد كان صرح بأنه يدفن حيث يموت^(٣) .

ولمّا كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة نبيي رضاه رسول الله ﷺ عنها^(٤) وفي رواية عنها : كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير ميسس ، حتّى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها^(٥) .

ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفزقت - أي : خافت - أن يفارقها رسول الله ﷺ : يا رسول الله يومي لعائشة ، فقبل رسول الله ذلك منها^(٦) .

(١) أخرجه البخاري [٥٢١٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٢) رواه أبو داود [٢١٣٧] ، وقال الألباني في صحيح أبي داود [١٨٧٠] : صحيح .

(٣) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه . فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته ، قال : « ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه » ، ادفنوه في موضع فراشه .

رواه الترمذي [١٠١٨] ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة [٢٦١/٧] ، وفي كنز العمال [١٨٧٦٤] . وقال الشيخ الألباني في صحيح الترمذي : صحيح .

(٤) أخرجه البخاري [٥٢١٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٥) انظر الصحيحة [١٤٧٩] ، والإرواء [٨٣/٧] .

(٦) رواه أحمد في المسند [١٠٨/٦] مختصراً ، وأبو داود [٢١٣٥] وفيه زيادة رأى عائشة أنه نزل في هذه وأشابهها : ﴿ وَإِنِ انزَلْنَا خَلَقْنَا مِنْ بَيْنِهَا نَسْرًا أَوْ إِنزَامًا عَلَا حَتَّىٰ أَنْ يَصِلِحَا نَبِيًّا سَلَامًا ﴾ . وصححه الألباني في صحيح أبي داود [١٨٦٨] ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفي رواية عند ابن سعد أنه فارقها فناشدته أن يمسكها وقالت : إنه ليس لها في الرجال حاجة وإنما تريد أن تكون معي في الجنة . ولكن هذه الرواية مرسله .

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما من قلب رسول الله ﷺ ما لم يكن لأحد من نساؤه بعد خديجة رضي الله تعالى عنها ، فكانت الحبيبة بنت الحبيب ، وكانت هي أكثرهن إِدْلاً عليه .

وفي الصحيحين عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « إني لأعلم إذا كنت راضية عني وإذا كنت عليّ غضبي »^(١) .
فقلت : من أين تعرف ذلك ؟

قال : « أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبي ، قلت : لا ورب إبراهيم » .
قلت : أجل والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك .

وكان هذا الحب الطبيعي الذي تعددت أسبابه أعظم دليل على عدله ﷺ بين أزواجه ، فهو لم يكن يفضلها على أقلهن مزايا في الخلق والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة ، ولذلك كان يقول في قسمه بينهما بالعدل : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »^(٢) .

يعني الحب ولوازمه الطبيعية غير الاختيارية . وما ابتلى الرجال بشيء أبعد على الجور والمحاباة كفتنة حب النساء ، فإن الرجل الضعيف الدين والإرادة ليظلم أولاده ونفسه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية فكيف لا يظلم ضربتها ؟ !



(١) أخرجه البخاري [٥٢٢٨] ، ومسلم [٢٤٣٩/٨٠] .

(٢) رواه أبو داود [٢١٣٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، وقال الألباني في ضعيف أبي داود [٤٦٧] : ضعيف .

تغايير نسائه ﷺ

وتحزبهن ومناشدتهن إياه العدل

لَمَّا كَانَ مِنْ طَبَاعِ الْبَشَرِ أَنَّ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ يَغْرِبُهُمْ بِالْمَطَالِبَةِ بِأَكْثَرِ مِنْ حَقُوقِهِمْ ، وَالظُّلْمَ يَسْكُنُهُمْ عَلَى مَا دُونِهَا وَلَا سِيَّمَا النِّسَاءَ ، وَرَأَى نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَا يُفْضَلُ إِحْدَاهُنَّ عَلَى غَيْرِهَا بِشَيْءٍ مَا . إِلَّا أَنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ لَهُ يَوْمَ عَائِشَةَ .

رَأَيْنَ أَنَّ فِي هَذَا هَضْمًا لِحَقُوقَهُنَّ وَكِرَامَتَهُنَّ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْهَضْمَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ وَكَانَ يَنْالُهُنَّ مِنَ الْهَدَايَا كُلِّهُنَّ ، فَطَالِبُهُ بِإِنصَافَهُنَّ ، وَأَغْلَظُنَّ فِي الْمَطَالِبَةِ وَالْحَفْنِ حَتَّى أَسْكَتَهُنَّ بِمَا يَكْرَهُنَّ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : إِنْ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حُزْبِينَ :

فَحُزْبٌ فِيهِ : عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةٌ وَسُودَةُ .

وَالْحُزْبُ الْآخَرُ : أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ عَائِشَةَ ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يَرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبَ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَكَلَّمَ حُزْبَ أُمِّ سَلَمَةَ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَلْنَ لَهَا : كَلِمَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيَهْدِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بَيْوتِ نِسَائِهِ .

فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قَلْنَ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا .

فَسَأَلْنَهَا ، فَقَالَتْ : مَا قَالَ لِي شَيْئًا .

فَقَلْنَ لَهَا : كَلِمِيهِ .

قَالَتْ : فَكَلَّمْتَهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا .

فألنّها ، فقالت : ما قال لي شيئا .
 فقلن لها : كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته .
 فقال لها : لا تؤذي في عائشة ؛ فإنّ الوحي لم يأتي وأنا في ثوب
 امرأة إلا عائشة .

قالت : فقلت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله .
 ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ
 تقول : إن نساءك يناشدنك الله العدل في بنت أبي بكر . فكلمته ، فقال :
 « يا بنية ألا تحبين ما أحب ؟ »
 قالت : بلى .

فرجعت إليهن فأخبرتهن .
 فقلن : ارجعي إليه فأبت أن ترجع .
 فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت : إن نساءك ينشدنك
 العدل في بنت ابن أبي قحافة .
 فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها ، حتى إن رسول
 الله لينظر إلى عائشة هل تكلم ؟

فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أمسكتها قالت : فنظر النبي ﷺ
 إلى عائشة وقال : « إنها بنت أبي بكر »^(١) .
 يعني أنها مثل أبيها في الذكاء والعقل والحجة .

ورواية مسلم عنها : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول

(١) أخرجه البخاري [٢٥١٨] .

قوله : « فقال : إنها بنت أبي بكر » أي إنها شريفة عاقلة عارفة كأبيها ، وكذا في رواية
 مسلم ، وفي رواية النسائي المذكورة « قرأت وجهه يتهلل » وكأنه ﷺ أشار إلى أن أبا بكر
 كان عالماً بمناقب مضر ومثالبها فلا يستغرب من بنته تلعف ذلك عنه ، ومن يشابه أباه فما
 ظلم . وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة ، وأنه لا حرج على المرأة في إظهار بعض
 نسائه بالتحف ، وإنما اللازم العدل في المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة ، وكذا
 قرره ابن بطال عن المهلب ، وتعبه ابن العنبر .

اللَّهُ ﷺ إلى رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطبي فأذن لها فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلتني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة - وأنا ساكنة - فقال لها رسول الله ﷺ : « أي بنية : ألسنت تحبين ما أحب ؟ » قالت : بلى ، قال : « فأحبي هذه » فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج رسول الله ﷺ فأخبرتهن بالذي قال رسول الله ﷺ فقلن : ما نراك أغويت عنا من شيء فارجمي إلى رسول الله ﷺ فقولي له : إن أزواجك يشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت : والله لا أكلمه فيها أبدًا .

قالت : فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند النبي ﷺ ولم أر قط امرأة خيرًا في الدين من زينب ، وأتقي لله ، وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتتقرب به إلى الله تعالى . ما عدا سورة من حدة^(١) فيها كانت تسرع منها الفيئة - أي الرجعة إلى الحلم - ... إلخ^(٢) .

ولها مع زينب مهاترة أخرى ذكرها أنس ملخصها :

أن نساء النبي كنَّ يجتمعن كل ليلة في بيت صاحبة النوبة منهن ، فدخلت زينب بيت عائشة فمد إليها النبي ﷺ يده . فقالت عائشة : إنها زينب فكف النبي ﷺ يده فتناولتا حتى ارتفعت أصواتهما فمر أبو بكر فسمعهما فقال : يا رسول الله أحث في أفواههن التراب . وجاءت الصلاة فخرج ﷺ ولم يكلمهما ولكنَّ أبا بكر عاد بعد الصلاة فعنف عائشة^(٣)

(١) هي شدة الخلق وثورانه .

النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٤٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٤٢/٨٣] .

(٣) أخرجه مسلم [٢٦/١٤٦٢] من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع . فكان يجتمعن كل ليلة في بيت النبي يأتيها . فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها ، فقالت :

وهو المشهور بالحلم ، وأين حلته من حلم رسول الله ﷺ .



« هذه زينب . فكف النبي ﷺ يده ، فتناولتا حتى استخينا^(١) ، وأقيمت الصلاة فمر أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهما ، فقال : اخرج يا رسول الله إلى الصلاة ، وأحث في أفواههن التراب . فخرج النبي ﷺ ، فقالت عائشة : الآن يقضى النبي ﷺ صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أتاهما أبو بكر فقال لهما قولاً شديداً ، وقال : أنصعين هذا ؟ »

(١) السخب : وفي لغة الصخب ، والسخب والصخب بمعنى : الصياح .

لسان العرب [١/٤٦٢] بتصرف .

غيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها

الغيرة الزوجية غريزة ، أو عاطفة في الرجال والنساء ، وهي فيهن أشد ولا سيما إذا تعددن عند الرجل ، وكان يحابي بعضهن على بعض ، ولئن كان أزواج النبي ﷺ كلهن يغرن من عائشة لعلمهن بأنها أحب إليه ، فلهي كانت أشدهن غيرة عليه ، حتى كانت تغار من خديجة زوجة قبلها وهي لم ترها كما تقدم ، فكانت على شدة ما ترى من عدله ومساواته بين نسائه تطيع ما يوسوس إليها الشيطان إذا خرج من عندها في ليلتها أنه يذهب إلى غيرها ، حتى تبعته مرة من حيث لا يشعر فإذا هو قد ذهب إلى البقيع - مقبرة المدينة - يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، قالت : فقلت بأبي أنت وأمي : أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا . فانصرفت فدخلت حجرتي ولى نفس عال ولحقني رسول الله ﷺ فقال : « ما هذا النفس يا عائشة ؟ » فقالت : بأبي وأمي أتيتني فوضعت ثوبك ثم لم تستم أن قمتم فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع » فقال ﷺ : « يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله »^(١) .

(١) أخرج مسلم [١٠٣/٩٧٤] من حديث مخزومة بن المطلب يروي عن عائشة قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : بلى . قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وسط طرف إزاره على فراتيه فاضطجع . فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت ، فأخذ رداءه ورويدا ، وانتعل وريدا ، وفتح الباب فخرج ثم أجافه وريدا . فجعلت درعي في رأسي واخترمت وثقنعت إزارى ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت ، فأسرعت فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته فدخلت ،

وخرج مرة قالت : فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه ؛ فجاء فرأى ما أصنع ، فقال ﷺ : « أغرت ؟ » فقلت : وهل مثلي لا يغار على مثلك ؟ فقال ﷺ : « لقد جاءك شيطانك » ، قلت : أو معي شيطان ؟ قال ﷺ : « نعم » ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال ﷺ : « نعم » قلت : ومعك ، قال ﷺ : « نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم »^(١) يعني أنني أسلم من طاعة وسوسته ، أو هو أسلم فلا يأمر بشر .

وقالت : ما رأيت صانعة طعام مثل صفية ؛ صنعت لرسول الله ﷺ طعامًا وهو في بيتي فأخذني أفكّل - هو بالفتح الرعدة والقشعريرة - فارتعدت من شدة الغيرة ، فكسرت الإناء ثم ندمت . فقلت يا رسول الله : ما كفارة ما صنعت ؟ قال ﷺ : « إناء مثل إناء وطعام مثل طعام »^(٢) .

وقالت تعيب صفية لتغيرها منها : يا رسول الله حبسك من صفية قصرها . فقال لها ﷺ : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته »^(٣) ، أي أن كلمتها في قبحها وخبثها لو ألقيت في البحر لأثرت فيه كله وخبث بها .

= فليس إلا أن اضطجعت فدخل . فقال : « مالك يا عائشة حشينا رابية ١٩ »^(١) .
 قلت : لا شيء . قال : « لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير » .
 قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي - فأخبرته .
 قال : « فأنت السوداء التي رأيت أمامي » .
 قالت : نعم .

فلهدني في صدري لهدية أوجعتني ، ثم قال : « أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ١٩ »
 قالت : معها يكتنم الناس بعلمه الله ، نعم . - إلخ .
 (١) أخرجه مسلم [٧٠/٢٨١٥] .

(٢) رواه أبو داود [٣٥٦٨] ، وقال الألباني في ضعيف أبي داود [٧٦٢] : ضعيف .

(٣) رواه أبو داود [٤٨٧٥] ، وقال الألباني في صحيح أبي داود [٤٠٨٠] : صحيح .

(١) حشينا رابية : أي مالك فد . وقع عليك الحشني وهو الزئير ، والنهر ، والتهيج الذي يعرض للمسرح في مشبه ، والمُخْتَد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره .

لسان العرب [١٧٩/١٤] .

تواطؤ أزواجه

رضي الله تعالى عنهن

وتظاهرن على الكيد له ﷺ

شرب مرة عسلاً عند زينب كان - أهدي إليها - وكان يحبه فأغررت عائشة به جميع نساءه ، فتظاهرن على الكيد له حتى لا يعود إلى شرب العسل عندها ؛ بأن تواطأن على أن ينكرون رائحته ممّا شرب ففعلن ، وكان شديد الكراهة للرائحة الخبيثة فامتنع من شرب ذلك العسل عندها وحرمه على نفسه ، فلما علم بكيدهن وكذهبن عليه غضب عليهن كلهن (١) .

وتواطأت عائشة مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية ، وكان سببه غضب حفصة لاجتماعه بها في بيتها فاسترضاهما بتحريمها عليه ، وأمرها أن نكتم الخبر فأفشته لعائشة . وروى أنه أسر إليها حديثاً آخر في مسألة الخلافة وتظاهرتا - أي تعاونتتا - عليه في ذلك ، وفيهما نزل قوله تعالى معاتباً له ومنذراً لهن :

﴿ بَنَاتِهَا النَّبِيُّ لِمَ حَزَنُ مَا أَمَلَ اللَّهُ لَكَ نَبِيَّ مَرْسَاتٍ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾
 مَدَّ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمُ نَحْلَةً أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْمَكِينُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى
 بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا
 نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبَاكَ هَذَا قَالَ نَبِيُّ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ ﴿٣﴾ إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَعَتِ فُلُوبُكُمْ وَإِنْ نَظَّهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يَبْسُطَ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ
 مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قُنَّاتٍ تَنْبَغِينَ عِيْدَاتٍ سَجَّاتٍ لَيْسَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ [التحريم] .

(١) أخرجه البخاري [٥٢٦٧] ، ومسلم [١٤٧٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

حاصل معنى الآيات ؛ أنه لا ينبغي لك أيها النبي أن تبالغ في مرضاة أزواجك فتبلغ منها أن تحرم لأجلهن ما أحل الله لك ، والله غفور رحيم ، غفر لك هذه فلا تعودن إلى مثلها .

وأن الله قد شرع لكم كفارة أيمانكم ومنها يمين تحريم المرأة أو الأمة . فهو كاليمين بالله تعالى - أي يكفره إطعام عشرة مساكين مرة واحدة ، أو كسوة كل منهم ثوباً أو عتق رقبة ، فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو مخير فيها ، فصيام ثلاثة أيام .

والله ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأفعالكم ونياتكم فيها ﴿ الْكَرِيمُ ﴾ بما بشره لكم فيما يعرض لكم من مقتضى الطباع البشرية فيريكم به ويزكيكم . ثم ذكر ذنب التي أفشت سره ﷺ وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة ، وليس تفصيله من موضوع هذه الرسالة ، وأرشدنا هي والتي أفشت لها السر وهي عائشة إلى التوبة من ذنبيهما وما صغت - أي مالت - إليه قلوبهما ، ووافق أهواءهما من تلك الواقعة ، وأنذرهما إن أصرتا على التظاهر أي التعاون والتماثل على الرسول ﷺ بأن الله هو مولاه الذي ينصره ويتولاه في كل أمر ، وكذلك جبريل وصالح المؤمنين ، والمراد بهم هنا أبواهما أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، والملائكة بعد ذلك كله بظاهرونه ويؤيدونه ﷺ ثم هددهما بأن الرسول ﷺ إذا طلقهما هما وسائر أزواجه المتحزبات عليه ؛ فإن الله يبده خيراً منهن ، في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات الكمال ، ولو كان ﷺ بهمه التمتع الجسدي لوصف الله البذل بصفات الحسن والجمال ، ولكنه لم يكن يحفل به ، ولو لم يكن نقصاً في نفسه .

غضبه ﷺ على أزواجه وإبلاؤه منهن شهراً وتخييره إياهن بين الطلاق وبقاء الزوجية المرضية لله ولرسوله

علمنا من الشواهد الصحيحة ، التي رويناها في حسن عشرة النبي ﷺ لأزواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم ولطف ، وصبر على تغايرهن واتمارهن ، ليكون أسوة حسنة لرجال أمته ولا سيما المهاجرين في ذلك .

علمنا أنه آل أمرهن إلى الائتمار بينهن ، والتظاهر عليه ، واستباحة الكذب ، وإقشاء السر ، وكذن يكن أسوة سيئة لنساء المؤمنين ، على خلاف ما يراد من تربية الرسول لهن ليكن قدوة صالحة .

وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال ؛ إذ زادت جراتهن عليهم ؛ بنائير ما أعطاهن الإسلام من الحقوق وما أوصى بهن النبي ﷺ من التكريم حتى إنه قد اجتمع عند نسائه ﷺ مرة سبعون امرأة كل تشكو زوجها ، فلما انتهى نساؤه إلى هذا الحد ، مع العدل الكامل ، واللطف الشامل ، غضب غضبة الحليم ، وحلف ألا يقربهن شهراً ، واعتزلهن كلهن ؛ تربية لهن . ولا تتم التربية إلا بوضع الحلم موضع الغضب في موضعه .

وأستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلفه هذا بما فيه زيادة البيان ، لما كان عليه حال النساء في أول الإسلام ، وأبدأ بسياق مسلم فأقول :

روى مسلم في صحيحه أن عبد الله بن عباس قال : « مكثت ستة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله ؛ هيبة له . حتى خرج حاجباً فخرجت معه ، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له ، فوقف له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير

المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه ؟
فقال : تلك حفصة وعائشة .

قال فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما
أستطيع ؟ هيبة لك .
قال : فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم ، فسلني عنه ، فإن كنت
أعلمه أخبرتك .

قال : وقال عمر : والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى
أنزل الله تعالى فيهنّ ما أنزل ، وقسم لهنّ ما قسم . قال : فبينما أنا في أمر
أتمره إذ قالت لي امرأتى : لو صنعت كذا وكذا ، فقلت لها : ومالك أنت
ولمّا ههنا ؟ وما تكلفك في أمر أريده ، فقالت لي : عجيباً لك يا ابن
الخطاب ، ما تريد أن تراجع أنت ، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى
يظل يومه غضبان .

قال عمر : فأخذ ودائي ثمّ أخرج من مكاني حتى أدخل على حفصة ،
فقلت لها : يا بنية ، إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان !
فقالت حفصة : والله إنا لتراجعه ، فقلت : تعلمين أني أحذرك عقوبة
الله وغضب رسوله . يا بنية لا يغررك هذه التي قد أعجبها حسنها وحب
رسول الله ﷺ إياها ، ثمّ خرجت حتى أدخل على أم سلمة ، لقرايتي
منها ، فكلمتها فقالت لي أم سلمة : عجيباً لك يا ابن الخطاب قد دخلت في
كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه ! قال : فأخذتني
أخذاً كسررتني عن بعض ما كنت أجده^(١) فخرجت من عندها .

« هذه مقدمة مسلم لحديث عمر ، وأذكر تمته من رواية البخاري عنه » .

قال : ثمّ استقبل عمر الحديث يسوقه قال : « كنت أنا وجار لي من
الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول

(١) أي كسرت ما أجده في نفسي ودفعنتني عنه حتى لم أقله لها ، وفي رواية لابن سعد : أنها
قالت له : « أي والله إنا لتكلمه فإنّ تحمل ذلك فهو أولى به وإن نهانا عنه كان أطوع عندنا
منك » .

على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جثته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك . وكنا معشر قريش نغلب النساء^(١) ، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصخبته على امرأتي فراجعيني ، فأنكرت أن تراجعني .

قالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل .

فأفزعني ذلك وقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت عليّ ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها : أي حفصة ، أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ؟

قالت : نعم .

فقلت : قد جئت وخسرت ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي ، لا تستكثري النبي ﷺ^(٢) ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ، ولا يغررنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ ، يريد : عائشة .

قال عمر : « وكنا قد تحدثنا أن غسان تعمل الخيل لغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ، فرجع إلينا عشاء ، فضرب بابي ضرباً شديداً ، وقال : أثم ؟ ففزعت فخرجت إليه .

فقال : قد حدث اليوم أمرٌ عظيم .

قلت : ما هو أجراء غسان ؟

(١) وفي رواية : « كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلا إذا كانت له حاجة » . وفي رواية : كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في أمورنا . هذا وقد قال النبي ﷺ : « خير نساء ركبهن الإبل صالح نساء قريش : أختاه على ولد - وفي رواية يقيم - هي صفوه وأرعاه على زوج في ذات يده » . رواه البخاري [٥٠٨٢] ، ومسلم [٢٥٢٧/٢٠٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وتذكير الفعل وإفراده فيه مسموع .

(٢) أي لا تطغي منه الشئ الكثير .

قال : لا . بل أعظم من ذلك وأهول ، طلق النبي ﷺ نساءه .
 فقلت : خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون ،
 فجمعت عليّ ثيابي ، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل النبي ﷺ
 مشربة له^(١) فاعتزل فيها ، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي ، فقلت : ما
 يبكيك ؟ ألم أكنّ حذرتك هذا ؟ أطلقكنّ النبي ﷺ ؟

قالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في المشربة ، فخرجت فجئت إلى
 المنبر ؛ فإذا حوله رهط يبكي بعضهم ، فجلست معهم قليلاً ، ثم غلبني ما
 أجد فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ .

فقلت للغلام له أسود : استأذن لعمر ، فدخل الغلام ، ثم كلم النبي ﷺ
 ، ثم رجع .

فقال : كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصمت .

فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد
 فجئت فقلت للغلام : استأذن لعمر .

فدخل ثم رجع فقال : قد ذكرتك له فصمت .

فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد ،
 فجئت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر .

فدخل ثم رجع إلى فقال : قد ذكرتك له فصمت .

فلما وليت منصرفاً ، قال : إذا الغلام يدعوني ، فقال : قد أذن لك
 النبي ﷺ فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير^(٢)
 ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من آدم حشوها
 ليفاً ، فسلمت عليه ثم قلت - وأنا قائم - : يا رسول الله أطلقت نساءك ؟
 فرفع إليّ بصره فقال : « لا » .

(١) العشيرة بضم الراء : الغرفة أو العلية .

(٢) وفي رواية رمال سرير ، والرمال اسم لضلوع الحصير التي ينسج بها فتكون متداخلة
 كالخيوط في الثوب .

فقلت : الله أكبر ، ثم قلت - وأنا قائم - : أستأنس يا رسول الله ، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم .

فتبسم النبي ﷺ .

ثم قلت : يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ - يريد عائشة - .

فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى .

فجلست حين رأته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرذ البصر غير أهبة ثلاثة^(١) .

فقلت : يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمك ؛ فإن فارساً والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله^(٢) .

فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال : « أو في هذا أنت يا ابن الخطاب ؟ إن أولئك قوم عجلوا طياتهم في الدنيا » .

فقلت : يا رسول الله استغفر لي . فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة وكان قال : « ما أنا بداخل شهراً » من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى^(٣) ، قالت عائشة : ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأنني أول امرأة من نساءه فاخترتة ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة^(٤) .

(١) الأهبة بفتحين وبضمين أيضاً الجلود مذبوحة أولاً . واحدها إهاب .

النهاية في غريب الحديث والأثر [١/ ٨٣] .

(٢) وفي رواية « فكيف فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : وما لي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في جنبي ، وهذه خزانتي لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الأثفار والثمار وأنت رسول الله وصفوته » وأما الذي رآه في خزانته فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة . والقرظ حب شجر يذيق به الجلود .

(٣) مجموع روايات أخرجه البخاري [٤٩١٣-٤٩١٥] ، ومسلم [١٤٧٩/ ٣٠-٣٤] .

(٤) أخرج البخاري [٤٧٨٦] من حديث عائشة قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : « إني فاكّر لك أمرًا ، فلا عليك أن لا تعجلي حتى نستأمرى أبويك » .

انفقت الروايات على أن تخيير النبي ﷺ أزواجه بين تطليقهن وإبقائهن على عصمته على الوجه الذي يريده منهن ، وهو أن يكن قذوة سالحة للنساء في الدين كان بعد حادثة غضبه وهجره لهن شهراً ثم رضاه عنهن ، وقد صح أنه حدث في أثناء ذلك سبب آخر للتخيير ، وهو إلحافهن بطلب التوسعة في النفقة والزينة .



= قالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا يامراني بفرافقه . قالت : ثم قال : « إن الله جل ثناؤه قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كُلِّمْ أُولَئِكَ لعلَّ يُؤْمِنُوا وَإِن كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَأُولَئِكَ وَرَبُّنَّهَا فَمَالِكُمْ أَتَيْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ كَرِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرَدُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِمُ وَالْدارُ الْآخِرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَدٌ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَكُلُّكُمْ لِنَدْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأحزاب] .

قالت : فقلت : ففى أى هذا أمستامر أبوى ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت .

مطالبة أزواجه ﷺ إياه بسعة النفقة والزينة

كان من السهل على النبي ﷺ أن يعيش مع نسائه عيشة الشرف والنعمة ، وأن يتمتعن بما أحبين من اللباس ، والحلى ، والزينة ، بما كان له من الحق في خمس الغنيمة ، ومنها غنائم بني النضير ، ثم بما كان له من الأرض في خيبر ، وكانت غاية توسعته عليهن إعطاءهن مئونة سنة كاملة من التمر والشعير الذي كان يتخذ منه الخبز في الغالب ، وكان ربما يتصدق ببعض ما آتاهن أو به كله إذا وجد من هو أحوج إليه من الفقراء ، بل ذبح مرة شاة فتصدق بها كلها فقالت له عائشة : هلا أبقيت لنا قطعة منها نفطر عليها ؟ فقال : « لو ذكرتني لفعلت » (١) .

وقد وقع لها بعده مثل ذلك بعينه فقالت لها مولاة لها كما قالت هي للنبي ﷺ وأجابتها بما أجابها به فهذه هي التربة المحمدية لأمهات المؤمنين ، ولو اتبع أهواءهن في الترف والزينة والأمة في طور التأسيس ، لعد من فضائل الدين ، على ذم القرآن للمعترفين المسرفين .

ولقد بشر النبي ﷺ أصحابه بفتح بلاد الشام ، والفرس ، ومصر والاستيلاء على خزائن كسرى وقيصر والسيادة فيها وفي غيرها من الأرض ، وحذرهم من الإسراف فيما أباح الله لهم في كتابه من الزينة والطيبات ، وقال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » (٢) .

(١) روى الترمذي [٢٤٧٠] عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي

ﷺ : « ما بقى منها ؟ » قالت : ما بقى منها إلا كتفها . قال : « بقى كلها غير كتفها » .

قال الألباني في صحيح الترمذي [٢٠٠٩] : صحيح .

(٢) أخرجه البخاري [٥٠٩٦] ، ومسلم [٩٧/٢٧٤٠] عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما .

ومن هذه الفتنة : أنهنَّ الداعيات إلى الإسراف في النفقة والزينة ، فلمَّا أراد نساؤه ذلك جعل الله تعالى له مخرجًا منه ؛ بشخيرهنَّ بين بقائهنَّ على عصمته إشارًا لحظ الآخرة ، وبين نعتيه لهنَّ بما يطالبن مع طلاقه لهنَّ وتسريحه لهنَّ بإحسان ، إشارًا منهنَّ لمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، فلو أن نساء النبي ﷺ غلب عليهنَّ التمتع بالنعمة ، والزينة ، والترف لاقتدى بهنَّ جميع النساء من ذلك العهد ، ولمَّا استطاع الرجال صرفهنَّ عنه ، ولمَّا قامت للأمة قائمة ، فإنَّ الإسراف في الترف والزينة يهلك الأمم الغنية ، فكيف تقوى بها الأمم الفقيرة ؟ أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية ، عزيزة ، مُصلحة لفساد البشر وظلمهم ؛ بتنشئتها على التنافس في الشهوات والزينة ؟ !

وإنما أباح الله الزينة والطيبات في حال السعة والثروة ، وبدون إسراف ولا بطر ولا مخيلة ، والغرض من كثرة أزواجه ، أن يكنَّ قدوة للنساء في الفضائل النسائية ، كما أنه هو القدوة العليا ، والأسوة الحسنة للأمة كلها في معاملة النساء وفي سائر الأمور ، وملاك ذلك كله إشار سعادة الآخرة على متاع الدنيا .



تخييره ﷺ لأزواجه بين الدنيا والآخرة

قد ثبت أنه كان لهذا التخيير سببان :

أحدهما : غضبه وموجدته عليهن فيما كان من تظاهرن عليهن ، وقد ذكرنا
أصح الروايات فيه .

والآخر : هو مطالبتهن له بالتوسع في النفقة والزينة وهو ما دلت عليه الآية
الأولى من آيات التخيير الآتيتين ، وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن
من ذلك .

وإنني أختار من الروايات الصريحة فيه حديث جابر من صحيح مسلم
وهذا نصه :

عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ
فوجد الناس جلوساً يبابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر
فدخل . ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له . فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه
واجماً ساكناً ، قال :

فقال : أبو بكر لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ

فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها
فوجأت عنقها^(١) .

فضحك رسول الله ﷺ وقال : « هنٌ حولي كما ترى يسألنني
النفقة » .

فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها .

(١) بنت خارجة زوجته ، ووجأ عنقها لكزه بجميع يده أو لواء إظهارها للإنكار لا لأجل الإيلام .

كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده . فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده .

ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ كَمَا لِلْمَخْسِيَّتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ .

قال : فبدأ بعائشة ، فقال : « يا عائشة إنني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك » .
قالت : وما هو يا رسول الله ؟
فتلا عليها الآية .

قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ ! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت .

قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يعثني مَعْنَتًا ولا مَفْعَتًا ، ولكن بعثني معلماً ميسراً ^(١) .

ثم خيرهن كلهن فاخترن ما هو خير لهن ، اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وهذا نص آتى التخيير : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ وَأَسْتَعْتَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا** ﴾ ^(٢) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمَخْسِيَّتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ^(٣) ﴾ [الأحزاب] .

خلاصة معنى الآيتين : قل لهن إن كنتم تردن من حياتكن الزوجية حظوظ الدنيا ، وشهواتها ، وزينتها فإنني لم أبعث لذلك ، ولا تزوجتكن لذلك ، فتعالين أعطكن المتعة المالية التي شرعها الله للمطلقات ، وأسرحكن إلى أهليكن سراحاً جميلاً لا إهانة فيه ولا إساءة كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته لعدم استطاعته أن يعيش معها عيشة راضية مرضية لله ثم له ولها ، وهو دليل على أنه ﷺ لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساء همهن من حياتهن النعيم والزينة ، وإن كنتم تردن من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ، ومرضاة رسوله بالقيام بأعباء الدين ، وإصلاح أمور

(١) أخرجه مسلم [٢٩/١٤٧٨] .

المؤمنات والمؤمنين ، وثواب الدار الآخرة ، تؤثره على نعمة الدنيا العاجلة ، فإن الله قد أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً هو أكبر مما أعد للمحسنات من سائر المؤمنات . وقد بين هذا في الآيات التي بعد هذه ، وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على افتراء أعداء الإسلام الذين يقولون : إنهم محمد من حياته التمتع باللذات والشهوات وإنه لذلك أكثر من الزوجات .



تأديب الله لأزواج نبيه ﷺ وتعليمهن ما يراد منهن

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التخيير على أنه من ربه لا من عند نفسه ، ووصل الأمر بصواعظ وحكم عرفهن بها منزلتهن ، وتفضيلهن على سائر النساء بجعلهن قدوة لهن في التقوى وحسن معاملة الأزواج ، بما أتاحه لهن من معايشة مصلح البشر الأعظم محمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين . وما يتلقينه عنه من آيات الله ، والحكمة وما يشاهدنه من معاملته ، وعلو أخلاقه من الأسوة الحسنة ، وأن مقتضى ذلك أن يكون أجرهن على العمل الصالح مضاعفاً ، وعقابهن على الأعمال الفاحشة مضاعفاً ، على قاعدة الغرم والغنم ، وكون الذي يُقتدى به في الخير له أجره ومثل أجور من يقتدون به فيه ، والذي يُقتدى به في الشر عليه وزره ومثل أوزار الذين يقتدون به فيه ، وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مسلم معروف^(١) . ولو كانت سيرة أزواج الرسول ﷺ فاسدة لفسدت سيرة سائر المؤمنات بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال .

قال الله عز وجل مخاطباً لهن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ يَأْتِ مِنْكِ بِفِئْسَةٍ مُبِينَةٍ يُصْنَعْ بِهَا الْعَذَابُ حَمِيقًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝١٥٠ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ إِلَهَهُ وَرَسُولَهُ .

(١) أخرج مسلم [٧٦/١٠١٧] عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ ، عليهم الصوف . فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة ، فأبطلوا عنه ، حتى روي ذلك في وجهه . قال : ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بطنزة من ذوق ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى غرف السرور في وجهه . فقال رسول الله ﷺ : من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء .

وَعَمَلٌ مِّنْهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَبِيَّاتُ النَّبِيِّ لَمَّا كَانَتْ
 مِنْ أَلْسَانِهِ إِنْ أَنْفَقَتْ فَلَاحِصَةٌ بِالْقَوْلِ فَيُطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي
 بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ
 مَا بُدِّلَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴿[الاحزاب].

الفاحشة العبيئة : وهي الفعلة الظاهرة القبح ، كالكذب في مسألة
 الغسل ، دون الهفوة واللمم مما قد يُخفي قبحه على فاعله .

والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع وإذعان النفس ، والعمل الصالح :
 أعم منه ، والتقوى : اتقاء مخالفة الله ورسوله وكل ما تسوء عاقبته .

والخضوع بالقول : لبين الكلام الأنثوي الذي يُطمع الرجل الخبيث
 الضعيف الإيمان في المرأة لارتياحه في عفتها .

والقول المعروف : هو الحسن البرئ من الريبة الذي لا يُنكر نزاهة
 قائلته من يسمعه .

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ : أمر من القرار ، أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن منها
 لغير حاجة .

والشرج : التبختر مع إظهار الزينة لجذب الأبصار ، وهو من منكرات
 الجاهلية القديمة .

و ﴿ الرِّجْسَ ﴾ : الدنس المعنوب وهو كل ما يمس الدين أو الشرف .
 وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ : تعليل لهذه الأوامر

والتواهي كلها ، فإن أمثالها ينافيه ، ويتم به الطهارة بأكمل معانيها .
 وذكر الضمير ﴿ عَنْكُمُ ﴾ : ليشمل صاحب البيت صلوات الله وسلامه

عليه ، فإن شرف أزواجه له ، فإن علق بإحداهن رجس أصابه الله وعاره - أعلى الله
 كرامته ونزهه ساحته - وقد يشمل بعمومه سائر أهل بيته غير نسائه المقصودات بالذات ،

وتزيده بعض الروايات وآيات الله كتابه وبراهينه ، و ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ : المعارف
 المعقولة المرفقة للعقول المزكّبة للنفوس ، الحاملة لها على معالي الأمور .

توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية أزواجه

بالغ أزواج النبي ﷺ في التضييق عليه ؛ بباعث الغيرة . وجراهن عليه حلمه الواسع ولطفه ، واعتقادهن أن المساواة بينهما واجبة عليه ، وتوهمهن أن منها المساواة في الحب ، وفي أمره الناس بأن يهدى إليه من شاء منهم حيث كان من بيوتهن . فكان من تربية الوحي لهن ما ذكرنا آنفاً من تهديد زعيمتهن عائشة وحفصة ، وإنذارهن الطلاق ، وإبدال ربه إياه خيراً منهن . ثم ما خاطبه به في الآية الخمسين من سورة الأحزاب ؛ من أنه أحل له أزواجه اللاتي تزوجهن بمهورهن ، وغيرهن من قريباته المهاجرات ، وما أفاء عليه من ملك اليمين ، ومن تهبه نفسها ليتزوجها بدون مهر خاصاً به مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور ، وتقيد الزواج بأن لا يزيد على أربع نسوة في حال المقدرة مع العدل والمساواة ، وعلى واحدة عند الخوف من الظلم . وكان بعض النساء يهبن أنفسهن له ﷺ وبعضهن يعرضن عليه قريباتهن عن ذلك^(١) . ثم أفاء الله تعالى في الآية التي بعدها برفع الحرج عنه في معاملة أزواجه كلهن بما يشاء ؛ ليعلمن أن مساواته بينهما فضل منه ﷺ عليهن ، وإحسان بهن ، لا واجب عليه من الله تعالى لهن ، لئلا يعدن

(١) أخرج البخاري (٥١٢٠) عن ثابت البناني قال : « كنت عند أنس وعنده ابنة له فقال : جاءت امرأة تعرض نفسها على رسول الله ﷺ فقالت : ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقل حياها واسواتها واسواتها . فقال : هي خير منك وعلت في رسول الله ﷺ فعرضت نفسها عليه . » وأخرج البخاري (٥١١٣) أن خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة : « أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟ » .
وأخرج البخاري (٥١٠٧) أن أم حبيبة عرضت عليه أختها ليتزوجها فتمسكها في خيرها فأخبرها بعدم حلها له معها . وقال : « فلا تعرضن عليّ بما تكره ولا أخواتك » .

إلى مثل ما كان منهن قال تعالى : ﴿ تَرْجِي مَن نَّشَاءُ مِنِّي وَتُؤَيِّدُ الْبَيْتَ مَن نَّشَاءُ وَمَن
 أَنْعَمْتَ بِهِ مَن عَزَّاتٌ فَلَا حِجَابَ عَنِكَ ذَلِكَ أَذْنًا أَنْ نَقْرَأَ آيَاتِنَا وَلَا نَحْزَنَ وَرَضِينَا بِمَا
 آتَيْنَاهُنَّ كَلِمَةً وَأَنَّهُ بِعَلْمِ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الاحزاب : ٥١] .

رفع الله عن نبيه بهذه الآية ما فرضه على أمته من القسم والمساواة بين
 الأزواج ، وأباح له ما يشاء من إرجائه نوبة بعضهم أي : تأخيرها ، وإيواء
 من شاء إليه متى شاء ، وعزل من شاء وإبعادها ، ولكنه ﷺ ظل على ما
 كان من مساواته بينهن بالعدل . فرضين منه لأنه بمحض الفضل ، ولم يتزوج
 عليهن أحدًا ممن أبيع له في الآية التي قبلها ، ولو كانت رغبته في تعدد
 الأزواج للاستمتاع بهن لفعل ولاختار حسان الأبقار على الثيبات .

ولما نزلت هذه الآية قالت عائشة له : كلمة شاذة لعلها أشد ما صدر
 عنها من إدلال حب الزوجية وحرارة الحداثة ، قالت له : « ما أرى إلا أن
 ربك يسارع في هواك »^(١) تعني بهواه رغبته وميله النفسي ، فقابل ﷺ هذه
 الكلمة الجريئة النابية عن الأدب بحلمه الواسع حتى علمت عائشة وغيرها أنه
 ﷺ لم يكن له أدنى هوى نفسي في هذه التوسعة عليه ، فإنه لم يعمل بها ،
 وإنما كانت لأجل تربيتها هي وسائر أزواجه ، وإقناعهن بكمال عدله فيهن
 وفضله عليهن فيما لم يوجهه ربه عليه .

وكانت عائشة على حداثتها قوية الإيمان والإجلال له ﷺ ، ولكن
 الغيرة النسائية كانت تغلب على وجدانها . ولقد أقنعتها حفصة في سفر لهما
 مع النبي ﷺ بأن تستبدل بغيرها بغيرها ففعلت ، فرأته ﷺ يكلم حفصة
 ظانًا أنها عائشة فاشتعلت نار غيرتها فلما نزلت وضعت رجلها في الإذخر -
 نبات عطر معروف - وصارت تدعو الله أن يرسل إليها حية أو عقربًا تلدغها
 وتقول : إنه نبيك ولا أستطيع أن أقول له شيئًا . رواه البخاري^(٢) .

روت معاذة عن عائشة قالت : « إن رسول الله كان يستأذن في يوم
 المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ تَرْجِي مَن نَّشَاءُ مِنِّي ﴾ الآية ، فقلت لها :

(١) أخرجه البخاري [٤٧٨٨] ، ومسلم [٤٩/١٤٦٤] .

(٢) أخرجه البخاري [٥٢١١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

ما كنت تقولين ؟ قالت : كنت أقول له : إن كان ذلك إلى رسول الله فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا^(١) ، وفي رواية : « لم أوثر أحدًا على نفسي »^(٢) فأين هذا الجواب من إنكارها عليه مد يده إلى زينب ؛ لمصافحتها في بيتها ، ومن تجسسها عليه إذا أبطأ في زيارته لها يوم شرب العسل عندها ؟ !



(١) أخرجه البخاري [٤٧٨٩] .

(٢) أخرجه مسلم [١٤٧٦/٢٣] .

تحريم النساء على النبي ﷺ بعدما تقدم

قال تعالى بعد هذه الآية من سورة الأحزاب : في التوسيع على نبيه ﷺ في أمر النساء ، وما كان لها ولما قبلها من انعاظ نسائه وتأديبهن ، ومن اختيارهن البقاء معه ﷺ مع القشف والزهد ، على الحياة الدنيا وزينتها مع فراقه .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَافِعًا ﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

ذهب جميع المفسرين إلى : أن هذه الآية نزلت في مكافأة أزواج النبي التسع على اختيارهن مرضاة الله ورسوله ، وثواب الدار الآخرة على نعيم الحياة الدنيا وزينتها ، فحرم عليه أن يتزوج عليهن أو يستبدل بهن أزواجا أخرى ، وأن قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ معناه من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك أو من بعد اختيارهن لك .

وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير من كبار مفسري التابعين أن المعنى : لا يحل لك النساء بعد الذي أبيع لك في الآية السابقة . أي من التصرف في معاملة أزواجك التسع كما نشاء ، ومآله أنه لم يبق لهن من سبيل إلى إزعاجك بما كنن يزعجنك به ، الذي أدى إلى تهديدهن بالطلاق ، والتخيير بين الإمساك والفراق .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ ظاهر في حبه ﷺ للحسن والجمال ، وكيف لا وهو الكامل الذوق والخلال ، القائل : « إن الله جميل يحب الجمال »^(١) . ولكنه كان يؤثر المصلحة على التمتع النفسي . ويشعر

(١) أخرجه مسلم [٩١/١٤٧] عن عبد الله بن مسعود .

اللَّهُ ما هو أبقى بمقامه الإصلاحى لا ما تدل عليه كلمة عائشة بقريئة غيرتها الزوجية من كل ما تهواه نفسه .

واستثنى ههنا ملك اليمين ، وهو عمًّا يسوؤهنَّ لو حصل ، ولكنه لم يحصل فهو لم يسترق سبية ، ولم يشتر أمة يشترى بها ، وإنما كان تسريه المعروف قبل ذلك . والمراد بكل هذا إكمال تربية الأزواج الطاهرات المختارات ، حتى لا يعدن إلى تلك الصفات النسائية المزعجات له ﷺ ، وبذلك كمل إيمانهنَّ بكماله .

ومن المعلوم بالطبع أن أهم ما يهم المرأة من زوجها هو وظائف الزوجية ، ووسائل المعيشة ، وأن المرأة أعلم الناس بضعف بعلمها البشرى ، وأن صفاته الزوجية قد تحجبها عن خصائصه الروحية والعقلية ، وتعد الصغير من ذنبه معها كبيراً ، والقليل من تفصيله كثيراً ، وقد قال ﷺ في بعض مواظبه للنساء : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار » فسألته عن السب فقال : « إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير »^(١) يعنى الزوج أي يتكروا فضله ومعروفه .

فمن ثمَّ قال بعض علماء الإفرنج : إن سبق خديجة إلى الإيمان بمحمد ويقينها فيه من أقوى الدلائل على صدقه . وكذلك كان سائر نسائه ﷺ في قوة الإيمان به واتباع هديه ، وإيثار الشرف بزواجه مع القشف والشطف ، على كل ما فى الدنيا من زينة وترف .



(١) أخرجه البخاري [٣٠٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، ومسلم [٧٩/١٣٢] عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، وله تنمة .

آية الحجاب

لبيان ما يجب على المؤمنين من الأدب مع الرسول وأزواجه
وما يحرم عليهم من إبدائه ﷺ

قد فطر الله محمدًا ﷺ على مكارم الأخلاق ، وعقائل الآداب ، وكَمُل أخلاقه وآدابه بوحيه إليه هذا القرآن ، ينبوع الحكمة وشمس العرفان ، ووصفه فيه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾ [القلم : ٤] ، وقوله : ﴿ فِيمَا رَخَصَهُ مِن اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وكان على رحمة ولينه ولطفه وحلمه - وفوراً مهيباً وشجاعاً باسلاً ، وجليلاً جلالاً ، حتى كان بعض من يحيء معادياً يريد الفتك به ترتعد فرائضه عند رؤيته فيقول له ﷺ : « هون عليك ؛ فلست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد »^(١) . فكان يهون على الناس مهابته بالمبالغة في التواضع ، فينهي عن الغلو في تعظيمه ، وعن الوقوف بين يديه ، وكان كما قال هند بن أبي هالة : من نظر إليه بديهة هابه ، ومن عاشره معرفة أحبه . وكما قال ابن القارض .

بجلال حجبه بجمال هام واستعذب العذاب هنا كما
ومن شواهد مهابته ﷺ ما رواه الشيخان عن زينب الثقفية امرأة عبد الله ابن مسعود قالت : قال رسول الله ﷺ : « تصدقن يا معشر النساء ولو من خليكن » قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت : إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة ، فأته فاسأله ، فإن كان ذلك يجزئ عني ، وإلا صرفتها إلى غيركم ، فقال عبد الله : بل انتبه أنت ،

(١) رواه ابن ماجه [٣٣١٢] عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [٢٦٧٧] : صحيح .

فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتها حاجتى وكان رسول الله ﷺ قد ألقى عليه المهابة ، فخرج علينا بلال ، فقلنا له : انت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن . قالت : فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله : « من هما ؟ » فقال امرأة من الأنصار وزينب . فقال رسول الله ﷺ : « أي الزينب ؟ » قال : امرأة عبد الله بن مسعود ، فقال : « لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة »^(١) .

وكان قومه - العرب - أوسع الأقوام حرية ، وأجراهم على العظماء ؛ لعدم وجود ملوك جبارين فيهم يستدلونهم ، ولا رؤساء دينيين يثبونهم على الخضوع لهم ، فكانت آداب أتباعه معه ﷺ دينية ، وازعها نفسي ، لا قهري ولا عرفي ، ونعاليمهم فيها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنته ﷺ والتأسي به ولهذا كانت في كمالها ونقصها تابعة لقوة الإيمان ، وسعة العرفان . وكان فيهم الأعراب الجفاة ، والمنافقون العتاة ، ومرضى القلوب . وكان الجميع يدخلون بيوته ويتحدثون إلى أزواجه في أي وقت من ليل أو نهار .

كان هذا الأمر يثقل عليه ، وعلى علماء الصحابة وفضلائهم . وكان عمر ابن الخطاب من أشدهم غيرة وجرأة ، وحزماً ، أو أجمعهم لهذه الصفات على أكملها ؛ فكان يطالب النبي ﷺ بحجبتهم عن الرجال . فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : « يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البير والغابير فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ! » فأنزل الله آية الحجاب^(٢) . أي فكان هذا ممّا وافق رأيه القرآن .

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت : « كنت أكل مع النبي

(١) أخرجه البخاري [١٤٦٦] ، ومسلم [١٠٠٠/٤٥] عن زينب امرأة عبد الله .

(٢) أخرجه البخاري [٤٤٨٣] ، [٤٧٩٠] عن أنس رضي الله تعالى عنه .

ﷺ في قعب^(١) ، فمر عمر فدعاه النبي ﷺ فأكل ، فأصابته أضبعه أضبعي فقال : أؤه ! لو أطاع فيكن ما رأيتكن عين^(٢) .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال : لما تزوج النبي ﷺ زينب دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فأخذ كأنه يتهبأ للقيام فلم يقوموا . فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس . فرجع ثم إنهم قاموا فانطلقت ، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا . فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فآلني الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله آية الحجاب^(٣) .

آية الحجاب وسبب نزولها :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ بَاتِيَا الَّذِينَ أَسْأَلُوا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ لَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَرُوا وَلَا مَسْتَنِينَ بِلَدِينِهِ إِذَا ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْجَىٰ بِمَنْكُمُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيءُ مِنْ الْخَنَاءِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ غَظِيبًا ۝ [الأحزاب : ٥٣] .

حاصل معنى الآية : نهى المؤمنين عن دخول بيوت النبي ﷺ على أزواجه كما كانوا يفعلون ؛ لأجل الطعام أو الكلام أو غيرهما من الحاج^(٤) إلا في حال الإذن لهم ودعوتهم منه ، أو من قبله إلى طعام ناضج حاضر ، غير منتظرين لأناء ؛ أي : نضجه حتى لا يطول مكثهم فيها . قال : ولكن إذا دعيتهم إليه والحال ما ذكر فادخلوا ، فإذا طعمتم ، أي : أكلتم الطعام فانتشروا ؛ أي : أخرجوا وتفرقوا بلا تريب ولا ببطء ، كما يدل عليه العطف

(١) القعب : الفلاح الضخم ، الغليظ ، الجافى ؛ وقيل قذح من خشب مقعر .

لسان العرب [٦٨٣] .

(٢) روا الطبراني في المعجم الأوسط [٢٩٤٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٣) أخرجه البخاري [٤٧٩١] ، ومسلم [٩٢/١٤٢٨] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

(٤) الحاج بتخفيف الجيم جمع حاجة .

بالفاء . ولا تدخلوها مستأنسين لحديث ؛ أي طالبين للأنس والتسلية بالكلام مع أهلها ، ولا مكثكم فيها . فمنع دخولهم لأجل الطعام إلا بدعوة إليه بشرطها ، ومنع دخولهم لأجل الكلام مطلقاً ، وعلل المنع بأن ما كان من دخولهم بيوته ، ومكثهم فيها كان « يؤذي النبي » ؛ أي : يؤلمه ولم يقل « يؤذي » للتذكير بأن إيذائه بصفة النبوة أعظم من إيذائه بصفته الشخصية - وإنه لفرط حياته وأدبه كان يخفي عنهم أذاه وألمه منهم ، فلا يصرح لهم به ولا يعمل بموجبه فينهاهم عن الدخول والمكث .

﴿ **وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** ﴾ أي : لا يمتنع أن يظهره بالاخبار به ، والأمر بالتزامه ، والنهي عما ينافيه ؛ لأنه تعالى لا يعرض له الانفعال البشري الذي يمنع الإنسان عن مواجهة غيره بما يكره .

ولمَّا كان هذا المنع لدفع الأذي عن الرسول ﷺ لا لحرمان المؤمنين من الانتفاع من أزواجه بما اعتادوا أن يطلبوه من بيوته قال : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا** ﴾ وهو كل ما ينتفع به من ماعون وغيره ، ومنه السؤال عن العلم بالأولى ﴿ **فَتَلَوُّهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ أي : ستر مضروب دونهن ؛ بحيث يسمعن ما تطلبون من غير مواجهة ولا استئناس في المخاطبة ، وعلله بقوله : ﴿ **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَوْلِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ** ﴾ أي : ذلكم السؤال من وراء حجاب ، أو الذي ذكر كله من نهى وأمر بشرطهما ﴿ **أَطْهَرُ لِقَوْلِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ** ﴾ من الخواطر الطبيعية ، والوساوس الشيطانية التي يثيرها تلاقي النساء والرجال ، واسترسالهما في حديث الاستئناس وشجونه ، واختلاف الأفهام والتأويلات فيه .

﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ** ﴾ وما كان من شأنكم ولا ممَّا يصح أن يقع منكم أيها المؤمنون إيذاء رسول الله بحال من الأحوال ؛ لأنَّ تعمد إيذائه ينافي الإيمان فوجب أن يُتقي وتسد ذرائعه ﴿ **وَلَا أَنْ تَنكُرُوا أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا** ﴾ فإنَّ الله تعالى جعلهنَّ أمهات لكم ، وجعله أولى بكم من آباؤكم ، بل من أنفسكم . وكل صحيح الإيمان يشعر من نفسه بأن رسول الله ﷺ أجل في قلبه من أمه وأبيه ، وأحب إليه من نفسه التي بين جنبيه .

ومن لوازم إجلاله إجلال خلائله ، وإحلالهنّ من قلبه محل الكرامة الدينية الروحية ، البعيدة عن شعور الشهوة الجنسية ، بأشد من صرف إجلال الأم الجسدية للنفس عن اشتهاها ، فكيف يسمح له وجدانه الديني أن يجلّ من إحداهنّ محل رسول الله ﷺ ؟ أو ليست ذكرى الرسول عند إرادة قربه منها - إن حصل - كافية لإثارة عاطفة الحياء منه والإجلال له الصارفة له عن ملامستها ؟ بلى والله . ولكنّ زوى عن بعض المنافقين ومرضى القلوب أنهم تحدثوا بنكاح فلانة وفلانة من أمهات المؤمنين بعد وفاته ﷺ . فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن هذا ليس من شأنه أن يقع من المؤمنين ؛ ليعلموا أن من يتحدث به لا يكون إلا من المنافقين . فإنّ قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ ﴾ نفي للشأن لا لسجد الفعل وهو يقتضى نفي الفعل بالدليل . وإن كل مؤمن ليشعر في كل زمن بأن إيذاء الرسول ونكاح بعض أزواجه ينافي الإيمان بأنه رسول الله ﷺ . وقد أكد ذلك بما يدل على الوعيد الشديد على مخالفته فقال : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ أي : خطباً وحبواً كبيراً .

فعلم من نص الآية ، ومما ورد في سبب نزولها أن الأمر بحجاب أزواج النبي ﷺ قد كان لتقرير ما يجب على المؤمنين من توقيره وتعظيم حرمة ، وسد منافذ الذرائع دون كل ما يكون من إيذائه ، وقطع طرق الشبهات ، ونزغات الشيطان أن تطوف بقلوب مجالسهنّ ومحدثهنّ بما يمس مقامه في منصب النبوة والرسالة ، أو يهبط بهنّ من أوج أمومة المؤمنين الروحية ، إلى خواطر النزعات الزوجية ، ولا ننسى أن المنافقين إذا لاحت لهم شبهة في إحداهنّ بنوا عليها من الإفك والبهتان ما يعن لهم ، ويوسوس به الشيطان . كما فعلوا في رمي السيدة عائشة بما أثر في قلوب بعض سذج المؤمنين حتّى نزلت براءتها من السماء .

ومن هذا القبيل في سد الذريعة على الخواطر والوسوسة : أن صفة أم المؤمنين زارت النبي ﷺ وهو معتكف في العشر الأخير من رمضان في المسجد ، فتحدثت عنده ساعة من العشاء ، فلما قامت تنقلب راجعة ، فقام معها النبي ﷺ حتّى إذا بلغا باب المسجد مر بهما رجلان من الأنصار فسلمّا

على رسول الله ﷺ ثُمَّ نَفَّذَا - انطلقا مسرعين - فقال لهما ﷺ : « على رسلكما إنما هي صفة بنت حبي » قالوا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما . فقال ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا »^(١) . رواه الشيخان .

ولا تدل الآية بتصريح ولا تعريض على تعليل الحجاب بالخوف على شرف صيانتهم وحصانتهم ، لا منهن ولا عليهن كما يتوهم بعض المعترضين من غير المسلمين على مسألة الحجاب في الإسلام ، إذ يقولون : إن المسلمين يحجبون نساءهم عن الرجال لعدم ثقتهم بعفتهم ، وهذا باطل .



(١) أخرجه البخاري [٢٠٣٨] ، ومسلم [٢١٧٥/٢٤] عن صفة بنت حبي رضي الله تعالى عنها .

ثمرة هداية القرآن والسنة في أزواجه

بهذا الوحي الإلهي ، والهدى المحمدي ، عَلِمَ أولئك الضرائر التسع أن الإصلاح الإسلامي للبشر يكلفهن أن يكنَّ نسوة لا كالنساء ، وأزواجاً لا كالأزواج ، يكلفهن أن يحتقرن التنافس في الطعام والشراب ، والمباراة في زينة الحلى واللباس ، والتحاسد على الحظوة عند هذا الزوج العظيم في حب الزوجية ، وتناسي وظيفته العليا وهي النبوة ، علمن بما ذُكر أن الله تعالى ورسوله يريدان منهن أن يكنَّ قدوةً صالحه ، وأسوةً حسنةً لجميع النساء ، ومعلمات للمؤمنات ، ومثلاً بارزةً في البر والتقوي ، والعلم والحكمة ، ومعالي الأمور ومكارم الأخلاق ، من العفة والصيانة والأمانة والديانة ، وأن يرجثن ما يشتهين من الزينة والنعمة إلى الدار الآخرة ﴿ **فَمَا مَنَعَ الْحِكْمَةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ [التوبة : ٣٨] .

خيرهن الله ورسوله بين الأمرين فاخترن خيرهما ، وأتم الله نعمته عليهن بما شرعه لرسوله ولهن مما يذكين من وساوس الغيرة ودنايا المضارة ، فتم لهن مراد الله تعالى بها ، وبما شرعه للمؤمنين من جعلهن أمهات لهم ، وضرب الحجاب عليهن دونهم حتى لا يفكر مؤمن فيما دون أمومتهم الروحية ، وإجلال منصب النبوة إذ قال تعالى في هذه السورة : ﴿ **الَّتِي أُولَىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ وَأَرْوَاهُ أَهْلَهُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٦] .

ولقد كان نساء المؤمنين يلحان إليهن بالشكوى من تقصير رجالهم في حقوق الزوجية - حتى حقوق الفراش - انقطاعاً للعبادة فيبلغن النبي ﷺ ذلك فيشكين ، وينهى رجالهن عن التنطع والغلو في العبادة والامتناع من أكل الطيبات وهجر الأزواج في الفراش ، مبالغة في صيام النهار وقيام

الليل ، ويقول للواحد منهم : « إن لجسدك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ... » الحديث^(١) .

وقد نقل لنا المحدثون والمؤرخون عنهن من فضائل الزهد والبر والصدقات والإيثار على النفس بعد رسول الله ﷺ ، إذ أقبلت الدنيا على المسلمين وأنجز الله لهم ما وعدهم به من الغني والملك ، ما يُثبت لكل عالم بذلك ، أن تعددهن كان خيراً وصالحاً للأمة ، وإعلاءً لشأن المرأة فيها ، إذ كنَّ أفضل سيرة من جميع نساء الأنبياء والمرسلين ، بل لا يكاد يفضلهن من نساء الأمم إلا مريم ابنة عمران ، ومن هذه الأمة غير فاطمة بنت محمد عليهما السلام ، وصلى الله على محمد وأهل بيته وعلى رسل الله أجمعين .



(١) أخرجه البخاري [١٩٧٥] ، ومسلم [١١٥٩/١٨١] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله تعالى عنه

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أمير المؤمنين ، أبو الحسن القرشي الهاشمي .

وأمة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ، وهي بنت عم أبي طالب . كانت من المهاجرات ، توفيت في حياة النبي ﷺ بالمدينة .

قال عمرو بن مرة ، عن أبي البُخترِي ، عن عليّ : قلت لأمي : اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك هي الفلحن والعجن . وهذا يدل علي أنها توفيت بالمدينة .

رَوَى الكثير عن النبي ﷺ ، وعرض عليه القرآن وأقرأه . عرض عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو الأسود الدؤلي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ورَوَى عن عليّ : أبو بكر ، وعمر ، وبنوه : الحسن ، والحسين ، ومحمّد ، وعمر ، وابن عمه ابن عباس ، وابن الزبير ، وطائفة من الصحابة ، وقيس بن أبي حازم ، وعلقمة ابن قيس ، وعبيدة السلماني ، ومسروق ، وأبو رجاء العطاردي ، وخلق كثير .

وكان من السابقين الأولين ، شهد بدرًا وما بعدها ، وكان يُكْتَبَى أبا تراب أيضًا .

قال عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل ، أن رجلاً من آل مروان استُعْمِلَ على المدينة ، فدعاني ، وأمرني أن أشتم علياً فابيت ، فقال : أما إذا ابيت فالعن أبا تراب ، فقال سهل : ما كان لعليّ اسم أحب إليه منه ، إن كان ليفرح إذا دُعي به ، فقال له : أخبرنا عن قصته ، لم نسْمِي أبا تراب ؟ .

فقال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ، فلم يجد علياً في البيت ، فقال : أين ابن عمك ؟ فقالت : قد كان بيني وبينه شيء فغاظني ، فخرج ولم يقبل عندي . فقال لإنسان : « اذهب انظر أين هو ؟ » . فجاء فقال : يا رسول الله ، هو رافد في المسجد ، فجاءه رسول الله ﷺ ، وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقته ، فأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه التراب ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب »^(١) .

وقال أبو رجاء العطاردي : رأيت علياً شيخاً أصلح كثير الشعر ، كأنما اجتاب إهاب شاة ، ربعة عظيم البطن ، عظيم اللحية .

وقال سوداة بن خنظلة : رأيت علياً أصفر اللحية .

وعن محمد بن الحنفية ، قال : اختضب علي بالحناء مرة ثم تركه .

وعن الشعبي ، قال : رأيت علياً ورأسه ولحيته بيضاء ، كأنهما قطن .

وقال الشعبي : رأيت علياً أبيض اللحية ، ما رأيت أعظم لحية منه ،

وفي رأسه رُغَيَات .

وقال أبو إسحاق : رأيت يخطب ، وعليه إزار و رداء ، أنزع ، ضخم

الطن ، أبيض الرأس واللحية .

وعن أبي جعفر الباقر ، قال : كان عليُّ آدم ، شديد الأدمة ، ثقیل

العينين ، عظيمهما ، وهو إلى القصر أقرب .

قال عمرو : أسلم عليٌّ وهو ابن ثمان .

وقال الحسن بن زيد بن الحسن : أسلم وهو ابن تسع .

وقال المغيرة : أسلم وله أربع عشرة سنة . رواه جرير عنه .

وثبت عن ابن عباس ، قال : أوّل من أسلم عليٌّ .

وعن محمد القُرظي ، قال : أوّل من أسلم خديجة ، وأول رجلين

أسلموا أبو بكر وعلي ، وإن أبا بكر أول من أظهر الإسلام ، وكان عليٌّ يكتُم

الإسلام فرقاً من أبيه ، حتّى لقيته أبو طالب ، فقال : أسلمت ؟ قال : نعم ،

(١) أخرجه البخاري [٣٧٠٣] ومسلم [٢٤٠٩ / ٣٨] .

قال : وازر ابن عمك وانصره . وأسلم عليّ قبل أبي بكر .
وقال قتادة : إن عليّاً كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر ، وفي كل مشهد .

وقال أبو هريرة وغيره : إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ويفتح الله على يديه » (١) .
قال عمر : فما أحببت الإمارة قبل يومئذ ، قال : فدعا عليّاً فدفعها إليه (٢) .

عن عبد الله بن أبي ليلى ، قال : كان أبي ينسُر مع عليّ ، وكان عليّ يلبس ثياب الصيف في الشتاء ، وثياب الشتاء في الصيف ، فقلت لأبي : لو سألته فسأله ، فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر ، فقلت : يا رسول الله إني أرمد ، فتفل في عيني ، وقال : « اللّهُم أذهب عنه الحر والبرد » ، فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ (٣) .

عن أم موسى : سمعت عليّاً يقول : ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني (٤) .

وعن جابر بن عبد الله : أن عليّاً حمل الباب على ظهره يوم خيبر ، حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها - يعني خيبر - ، وأنهم جزّوه بعد ذلك ، فلم يحمله إلا أربعون رجلاً . تفرّد به إسماعيل ابن بنت السدي ، عن المطلب .

وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته ، فلما دنا من الحصن ، خرج إليه أهله ،

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٧٠٢] ومسلم [٢٤٠٧ / ٣٥] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٠٥ / ٣٣] .

(٣) رواه ابن ماجه [١١٧] وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [٩٥] حسن بطريقتين آخرين في « أوسط الطبراني » [١ / ١٢٧ ، ٢ / ٢٢٢] وحسن الهيثمي [١٢٢ / ٩] دون قصة البعث فهي

في « الصحيحين » دون « ليس بفرار » وهذا له شاهد في « مسند أبي يعلى » [١ / ٣٧٤] .

(٤) رواه أحمد في المسند [٧٨ / ١] وقال الأرنؤوط : إسناده حسن .

فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود ، فطرح ترسه من يده ، فتناول عليُّ باباً عند الحصن ، فثَّرس به عن نفسه ، فلم يزل في يده ، وهو يقاتل ، حتى فتح الله علينا ، ثمَّ القاه ، فلقد رأيتنا ثمانية نفر ، نجهد أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه .

وعن ميمون أبي عبد الله ، عن البراء ، وزيد بن أرقم ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت مِنِّي كهارون من موسى ، غير أنك لست بنبي » . (١)

وعن سعد بن أبي وقاص قال : قال معاوية : ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ قال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسبهُ ، لأنَّ تكون لي واحدة منهنَّ أحب إليَّ من حمر النعم :

سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وخُلف علياً في بعض مغازيه ، فقال : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟

قال : « أما ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

وسمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فدفعها إليه ، ففتح الله عليه .

ولمَّا نزلت هذه الآية : ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** ﴾ [آل عمران : ٦٠] ، دعاه رسول الله ﷺ ، وفاطمة ، وحسنا وحسيناً ، فقال : « اللهم هؤلاء أهلي » (٢) .

وعن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : أما والله أشهد لقال رسول الله ﷺ لعلي يوم غدِير حَم ، وأخذ بضبعيه : « أيها الناس من مولاكم ؟ » قالوا : الله ورسوله . قال : « من كنت مولاة فعلي مولاة ، اللهم وَاي من وآله ، وعاد من عاده » (٣) الحديث .

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات [٣ / ٢٣] . وقال الذهبي : ميمون صدوق .

(٢) أخرجه مسلم [٢٤٠٤ / ٣٢] .

(٣) رواه الطبراني في الكبير [٤ / ١٧٣ / ٤٠٥٣] عن الحارث النخعي .

وروى ابن ماجه [١١٦] وصححه الألباني عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : ..

ويروى عن أنس أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمة : « قد زوجتك أعظمهم حلماً ، وأقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً »^(١).

وعن بريدة أن النبي ﷺ قال : « يا بريدة لا تقعن في علي فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي »^(٢).

وقال الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من كنت وليه فعلي وليه »^(٣).

وقال غندر : حدثنا شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم ، أن النبي ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه »^(٤).

عن البراء ، قال : بعث رسول الله ﷺ مجنبتين على إحداهما علي ، وعلى الآخرة خالد بن الوليد ، وقال : « إذا كان قتال فعلي على الناس ، فافتتح علي حصنا ، فأخذ جارية لنفسه ، فكتب خالد في ذلك ، فلمّا قرأ رسول الله ﷺ الكتاب ، قال : « ما تقول في رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ؟ » . قلت : أعوذ بالله من غضب الله^(٥).

وعن عمران بن حصين ، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية ، واستعمل عليهم علياً ، وكان المسلمون إذا قدموا من سفر أو غزٍ أتوا رسول الله ﷺ قبل أن يأتوا رجالهم ، فأخبروه بمسيرهم ، فأصاب علي جارية ، فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ لتخبيرته ، قال : فقديمت السرية ، فأتوا

« أفبئنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج ، فنزل في بعض الطريق ، فأمر الصلاة جامعة ، فأخذ بيد علي فقال : « أئت أولي المؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : أئت أولي بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى . قال : فهذا ولي من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه ، اللهم عاد من عاداه » .

- (١) رواه أحمد في المسند [٥ / ٢٦] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .
- (٢) رواه أحمد في المسند [٥ / ٣٥٦] وفضائل الصحابة [٢ / ٦٨٨ / ١١٧٥] .
- (٣) رواه ابن حبان [٦٩٣٠] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .
- (٤) رواه الطبراني في الكبير [٤ / ١٧٣ / ٤٠٥٢] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ / ١٠٤] رواه أحمد [٥ / ٤١٩] ورجاله ثقة . وقال الذهبي : حديث صحيح .
- (٥) رواه الترمذي [١٧٠٤] و [٣٧٢٥] وضعفه الألباني [٢٨٦] .

رسول الله ﷺ فأخبروه بمسيرهم ، فقام إليه أحد الأربعة ، فقال : يا رسول الله قد أصاب عليّ جارية ، فأعرض عنه ، ثم قام الثاني ، فقال : صنع كذا وكذا ، فأعرض عنه ، ثم الثالث كذلك ، ثم الرابع ، فأقبل رسول الله ﷺ عليهم مغضباً ، فقال : « ما تريدون من عليّ ، عليّ متي وأنا منه ، وهو وليّ كل مؤمن بعدي »^(١) .

وعن أبي سعيد ، قال : اشتكى الناس عليّاً ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فقال : « لا تشكوا علياً ، فوالله إنه لأخيشن في ذات الله - أو في سبيل الله »^(٢) .

ويروى عن عمرو بن شناس الأسلمي : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من أذى علياً فقد آذاني »^(٣)

عن أبي الطفيل ، قال : جمع عليّ رضي الله عنه الناس في الرحبة ، ثم قال لهم : أنشد الله كل امرئ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدِير حُتم ما سمع لِمَا قام . فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده رسول الله ﷺ ، فقال للناس : « أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهمّ وَاَلِ مِنْ وَاَلَاهِ ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهِ »^(٤)

وعن البراء ، قال : أقبلنا مع رسول ﷺ في جحّة الوداع فلمّا أتينا على غدِير خم كسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ، ونودي في الناس : « الصلاة جامعة » ، ودعا رسول الله ﷺ عليّاً فأخذه بيده ، وأقامه عن يمينه فقال : « أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ » قالوا : بلى . فقال : « فإنّ هذا ، مولى من أنا مولاه ، اللهمّ وَاَلِ مِنْ وَاَلَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهِ » . فلقبه

(١) رواه الترمذي [٣٧١٢] وصححه الألباني [٢٩٢٩] .

(٢) رواه أحمد في المسند [٨٦/٣] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/ ١٢٩] رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٣) البداية والنهاية [الجزء السابع - سنة أربعين من الهجرة] .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/ ١٢٧] وقال : رواه البيهقي وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سني الحفظ ، وثقة رجاله رجال الصحيح .

عمر بن الخطاب ، فقال : هنيئاً لك يا علي ، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ^(١) .

وعن أنس بن مالك ، قال : أهدني إلى رسول الله ﷺ أطيبار ، فقسّمها ، وترك طيبراً ، فقال : « اللهم ائني بأحبّ خلقك إليك » ، فجاء عليّ .

عن أنس ، قال : أهدني إلى رسول الله ﷺ حجج مشوى ، فقال : « اللهم ائني بأحبّ خلقك إليك بأكل معي » وذكر الحديث .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة ، ومن الرجال علي ^(٢) .

وعن أبي عبد الله الجدلي ، قال : دخلت علي أم سلمة ، فقالت لي : أيسبُ فيكم رسول الله ﷺ ! قلت : معاذ الله . قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سب علياً فقد سبني » ^(٣) .

عن زر ، عن علي ، قال : إنه لعهد النبي ﷺ إليّ أنه : « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » ^(٤) .

وعن أبي سعيد ، قال : إن كنا نعرف المنافقين يبغضهم علياً .

وعن جابر ، قال : ما كنا نعرف منافقي هذه الأمة إلا يبغضهم علياً .

وعن علي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا بكر ، زوجني ابنته ، وحملني إلى دار الهجرة ، وأعتق بلالاً . رحم الله عمرأ ، يقول الحق ، وإن كان شراً ، تركه الحق وماله من صديق . رحم الله عثمان تستحيه الملائكة . رحم الله علياً ، اللهم أوز الحق معه حيث دار » ^(٥) .

وعن عائشة ، قالت : كنت قاعدة مع النبي ﷺ ، إذ أقبل عليّ فقال :

(١) رواه ابن ماجه [١١٦٦] وقال الألباني [٩٤] صحيح .

(٢) رواه الترمذي [٣٨٦٨] وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٨١٢] منكر .

(٣) رواه أحمد في المسند [٦ / ٣٢٣] .

(٤) أخرجه مسلم [٧٨ / ١٣١] والترمذي [٣٣٧٦] والمفقط له .

(٥) رواه الترمذي [٣٧١٤] وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٧٦٧] ضعيف جداً .

« يا عائشة هذا سيد العرب » . قلت : يا رسول الله ، ألمت سيد العرب ؟ قال : « أنا سيد ولد آدم ، وهذا سيد العرب » (١) .

وعن جميع بن عمير التيمي ، قال : دخلت مع عمتي على عائشة ، فُسئِلت : أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ فقالت : زوجها ، وإن كان ما علمت ضوَّاماً قوَّاماً (٢) .

وعن جابر ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نخيل امرأة من الأنصار ، فقال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » . فطلع أبو بكر ، فبشرناه ، ثُمَّ قال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » . فطلع عمر ، فبشرناه ، ثُمَّ قال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » ، وجعل ينظر من النخل ويقول : « اللهم إن شئت جعلته علياً » . فطلع علي رضي الله عنه (٣) .

وعن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال : « اثبت حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » ، وعليه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي وذكر بقية العشرة (٤) .

وقال محمد بن كعب القرظي : قال علي : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً (٥) .

وعن الشعبي ، قال : قال علي : ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحية وتعجن فاطمة على ناحية . يعني : ننام على وجه ، وتعجن على وجه .

وعن علي ، قال : بعثني النبي ﷺ إلى اليمن ، وأنا حديث السن ،

(١) رواه الحاكم [٣ / ١٢٤] وقال الذهبي : وضعه ابن علوان .

(٢) رواه الترمذي [٣٨٧٤] وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٨١٤] منكر .

(٣) رواه أحمد في المسند [٣ / ٣٣١ ، ٣٨٠] وقال الأرنؤوط حديث محتمل للتحسين .

(٤) رواه أحمد في المسند [١ / ١٨٨] وأبو داود [٤٦٤٨] وابن ماجه [١٣٤] والترمذي [٣٧٥٧] وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [١١١] صحيح .

(٥) رواه أحمد في المسند [١ / ١٥٩] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

ليس لي علم بالقضاء ، فضرب صدري ، وقال : « اذهب فإن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك » . قال : فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ^(١) .

وعن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : خطبنا عليٌّ فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، وفيها : أسنان الإبل وشيء من الجراحات ، فقد كذب ^(٢) .

وعن سليمان الأحمسي ، عن أبيه ، قال : قال عليٌّ : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً ناطقاً ^(٣) .

وقال محمد بن سيرين : لما تُوفي رسول الله ﷺ أبظاً عليٌّ عن بيعة أبي بكر ، فلقبه أبو بكر ، فقال : أكرهت إمارتي ؟ ! فقال : لا ، ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة ، حتى أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه علي تنزيله .

قال محمد : لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم .

وقال سعيد بن المسيب : لم يكن أحد من الصحابة يقول : « سلوني » إلا علي .

وقال ابن عباس : قال عمر : علي أفضلنا ، وأبي أقرؤنا ^(٤) .

وقال ابن مسعود : كنا نتحدث أن أقضي أهل المدينة علي ^(٥) .

وقال ابن المسيب ، عن عمر ، قال : أعوذ بالله من مُغضلة ليس لها أبو حسن ^(٦) .

وقال ابن عباس : إذا حدثنا ثقة بفتيا عن علي لم نتجاوزها ^(٧) .

(١) رواه أحمد في المسند [١ / ٨٨] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري [٧٣٠٠] ومسلم [١٣٧٠ / ٤٦٧] .

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال [٣٦٤٠٤] .

(٤) رواه أحمد في المسند [٥ / ١١٣] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٥) رواه الحاكم في المستدرک [٣ / ١٣٥] وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢ / ٣٣٩] .

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢ / ٣٣٨] ، وقال ابن حجر رواه ابن سعد بإسناد صحيح .

وعن جسر ، قالت : ذكر عند عائشة صوم عاشوراء ، فقالت : من يأمركم بصومه ؟ قالوا : علي . قالت : أما إنه أعلم من بقي بالسنة .
وقال مسروق : انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عمر ، وعلي ، وعبد الله .

وقال محمد بن منصور الطوسي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه .

وقال أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : شهدت عمر يوم طعن ، فذكر قصة الشوري ، فلما خرجوا من عنده قال عمر : إن يولوها الأجيال يسلك بهم الطريق المستقيم . فقال له ابنه عبد الله : فما يمنعك ؟ - يعني أن توليه - قال : أكره أن أتحمّلها حياً وميتاً^(١) .

وعن سعيد بن عمرو ، قال : خطبنا عليّ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً ، ولكن رأيت رأيتنا ، فاستخلف أبو بكر ، فقام واستقام ، ثم ضرب الدين بجرانه ، وإن أقواما طلبوا الدنيا ، فمن شاء الله أن يعذب منهم عذب ، ومن شاء أن يرحم رحم^(٢) .

وعن قيس بن عباد ، قال : سمعت علياً يقول : والله ما عهد إلي رسول الله عهداً إلا شيئاً عهدته إلى الناس ، ولكن الناس وقعوا في عثمان فقتلوه ، فكان غيري فيه أسوأ حالاً وفعلاً مني ، ثم إنني رأيت أني أخفهم بهذا الأمر ، فوثقت عليه ، فإله أعلم أصبنا أم أخطأنا^(٣) .

وعن الحسن ، قال : لما قدم علي رضي الله عنه البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس ابن عباد ، فقالا : ألا نخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه ،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٣٤٢] .

(٢) قال الدكتور بشار عواد هذا اسناده على شرط الشيخين ، ولكن أخرجه أحمد [١ / ١١٤]

عن عبد الرزاق ، عن شعبان ، عن الأسود ، عن رجل عن علي .

وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

(٣) فيه ابن جدعان وهو ضعيف .

تتولى على الأمة ، تضرب بعضهم ببعض ، أعهد من رسول الله عهده إليك ؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت . فقال : أما أن يكون عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك فلا ، والله إن كنت أول من صدق به ، فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ، ما تركت أخا بني تميم بن مرة ، وعمر ابن الخطاب يقومان على منبره ، ولقاتلتها بيدي ، ولو لم أجد إلا بردي هذا ، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ، ولم يمت فجأة ، مكث في مرضه أياماً وليالي ، يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلّي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلّي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب ، وقال : « أتتني صواحب يوسف ، مروا أبا بكر يصلّي بالناس »^(١) .

فلما قبض الله نبيه ، نظرنا في أمورنا ، فاخترنا لديننا من رضىه نبي الله لديننا . وكانت الصلاة أصل الإسلام ، وهي عظم الأمر ، وقوام الدين . فبايعنا أبا بكر ، وكان لذلك أهلاً ، لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأدبت إلى أبي بكر حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه بسوطي . فلما قبض ، ولأها عمر ، فأخذ بسنة صاحبه ، وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ، ولم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة . فأدبت إلى عمر حقه ، وعرفت طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلتي ، وأنا أظن أن لا يعدل بي ، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فيرى منها إلى رهط من قريش ستة ، أنا أحدهم .

(١) أخرجه البخاري [٣٣٨٥] ومسلم [٢٤٠ / ٢٠١] .

فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلتي ، وأنا أظن أن لا يعدلوا بي ، فأخذ عبد الرحمن موائيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم أخذ بيد ابن عفان فضرب بيده على يده ، فنظرت في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري ، فبايعنا عثمان ، فأديت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت أخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما أصيب نظرت في أمري ، فإذا الخليفةان اللذان أخذاهما بعهد رسول الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا^(١) ، وهذا الذي قد أخذ له الميثاق ، قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين ، وأهل هذين المصرين .

وزاد في رواية : فوثب فيها من ليس مثلي ، ولا قرابته كقرابتي ، ولا علمه كعلمي ، ولا سابقته كسابقتي ، وكنت أحق بها منه .

قالا : فأخبرنا عن قتال هذين الرجلين - يعنيان : طلحة والزبير - قال : بايعاني بالمدينة ، وخلعاني بالبصرة ، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر وعمر خلعه لقاتلناه .

وعن أبي سعيد ، سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن منكم من يقاتل عليّ تأويل القرآن ، كما قاتلت عليّ تنزيله » . فقال أبو بكر : أنا هو ؟ قال : « لا » . قال عمر : أنا هو ؟ قال : « لا » ، ولكنه خاصف النعل ، وكان أعطي عليّاً نعله يخصفها^(٢) .

قلت : فقاتل الخوارج الذين أولوا القرآن برأيهم وجهلهم .

وعن عثمان بن أبي عثمان ، قال : جاء أناس إلى عليّ ، فقالوا : أنت

(١) قال الدكتور يشار عواد : هكذا في الأصول ، ولا يصح معناه ، فإن رسول الله ﷺ إنما أمر أبا بكر وحده فضلي بالناس ، ولم يأمر عمر ولا غيره ، والخبر كله من رواية أبي بكر الهذلي وهو متروك ، فإسناده ضعيف جداً .

(٢) رواه أحمد في المسند [٣ / ٣١ و ٣٣ و ٨٢] وقال الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد حسن .

هو ، قال : من أنا ! قالوا : أنت هو ، قال : ويلكم من أنا ؟ قالوا : أنت ربنا ، قال : ارجعوا فأبوا ، فضرب أعناقهم ، ثم خد لهم في الأرض ، ثم قال : يا قنبر انثني بحزم الحطب ، فحرقهم بالنار ، وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً
وقال أبو حيان التميمي : حدثني مجمع ، أن علياً رضي الله عنه كان
يكنس بيت المال ثم يصلّي فيه ، رجاء أن يشهد له أنه لم يجس فيه المال
عن المسلمين ^(١) .

وقال أبو عمرو بن العلاء ، عن أبيه ، قال : خطب عليّ رضي الله عنه
فقال : أيها الناس ، والله الذي لا إله إلا هو ، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا
كثيراً ، إلا هذه القارورة ، وأخرج قارورة فيها طيب ، ثم قال : أهداها إلي
دهقان ^(٢) .

وعن عبد الله بن زبير الغافقي ، قال : دخلت على علي يوم الأضحى
فقرب إلينا خزيرة ، فقلت : لو قربت إلينا من هذا الوز ، فإن الله قد أكثر
الخير .

قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله
إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس » ^(٣) .
وقال سفیان الثوري : إذا جاءك عن عليّ شيء فخذ به ، ما بني لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة ، ولقد كان يجاء بحيويه في جراب .

وعن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، قال : دخلت على عليّ بالخورنق ،
وعليه سحل قطيفة ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل
بيتك في هذا المال نصيباً ، وأنت تفعل هذا بنفسك ! فقال : إني والله ما
أرزؤكم شيئاً ، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من بيتي ^(٤) .

(١) رواه أحمد في الزهد [٦٩٥] .

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية [١ / ٨١] .

(٣) رواه أحمد في المسند [١ / ٧٨] وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية [١ / ٨٢] .

وعن عليٍّ أنه اشترى قميصاً بأربعة دراهم فلبسه ، وقطع ما فضل عن أصابعه من الكم^(١) .

وعن جرmoz ، قال : رأيت علياً وهو يخرج من القصر ، وعليه إزار إلى نصف الساق ، ورداء مشمر ، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ، ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ، ويقول : أوفوا الكيل والميزان ، ولا تتفخخوا باللحم^(٢) .

وقال الحسن بن صالح بن حي : تذكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال : أزهّد الناس في الدنيا : عليّ بن أبي طالب .

وعن رجل أنه رأي عليّاً قد ركب حماراً وذليّ رجله إلى موضع واحد ، ثمّ قال : أنا الذي أهنت الدنيا .

وعن أبي عمر زاذان ، أن رجلاً حدث عليّاً بحديث ، فقال : ما أراك إلا قد كذبتني . قال : لم أفعل . قال : إن كنت كذبت أدعو عليك . قال : ادع فدعاً ، فما برح حتى عمي^(٣) .

وقال عطاء بن السائب ، عن أبي البخترى ، عن عليّ ، قال : وأبرؤها على الكبد إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول : الله أعلم .

وقال خيشمة بن عبد الرحمن : قال عليّ : من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه .

وقال عمرو بن مرة ، عن أبي البخترى ، قال : جاء رجل إلى عليّ فأثني عليه ، وكان قد بلغه عنه أمر ، فقال : إنني لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

وقال محمد بن بشر الأسدي - وهو صدوق - : حدثنا موسى بن مطير - وهو واه - عن أبيه عن صعصعة بن صوحان ، وقال : لما ضرب عليّ

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٢٩] .

(٢) المصدر السابق [٣ / ٢٨] .

(٣) رواه أحمد في الزهد [٧٠٣] .

أتيناه ، فقلنا : استخلف ، قال : إن يرد الله بكم خيراً استعمل عليكم خيركم ، كما أراد بنا خيراً واستعمل علينا أبا بكر .

وعن أبي وائل ، قال : قيل لعلي : ألا توصي ؟ قال : ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً سيجمعهم على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبهم على خيرهم .

وعن عبد الله بن سبع أنه سمع علياً يقول : لَتُخَضَّبُنَّ هذه من هذه ، فما ينتظرنني إلا شقي . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فأخبرنا عنه لَنَبِيرُنَّ عَثْرَتَهُ ، قال : أنشدكم بالله أن يُقْتَلَ غير قاتلي .

قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكني أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ (١) .

قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم إن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم (٢) .

وعن ثعلبة بن يزيد الحماني قال : سمعت علياً يقول : أشهد أنه كان يُسِرُّ إِلَيَّ النَّبِيَّ ﷺ : « لَتُخَضَّبُنَّ هذه من هذه - يعني لحيته من رأسه - فما يجبس أشفاها »

وعن زيد بن أبي وهب قال : قدم علي علي بن قيس قوم من البصرة من الخوارج فقال منهم الجعد بن بعجة : اتق الله يا علي فإنك ميت فقال علي : بل مقتول ؟ ضربة علي هذه تخضب هذه ، عهد معهود وقضاء مقضي ، وقد خاب من اقترى .

قال : وعاتبه في لباسه فقال : ما لكم ولباس هو أبعد من الكبير وأجدر أن يقتدي بي المسلم (٣) .

(١) رواه أحمد في المسند [١ / ١٣٠] وقال الأرنؤوط : حسن لغيره .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٣٤] .

(٣) المصدر السابق .

وقال فطر : عن أبي الطفيل ، إن علياً رضي الله عنه تمثل :

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا ييكا
ولا تجزع من القتل إذا حل بواديك

عن علي قال : أتاني عبد الله بن سلام ، وقد وضعت قدمي في الغرز فقال لي : لا تقدم العراق ، فإني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف .

قلت : وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ .

قال أبو الأسود : فما رأيت كالיום قط محاربا يخبر بذات عن نفسه ^(١) .

وعن الأصبع الحنظلي ، قال : لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة ، فقام يمشي ، فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه ، فخرجت أم كلثوم فجعلت تقول : ما لي ولصلاة الصبح ، قتل زوجي عمر صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة .

وعن ليلة قتل علي قال الحسن بن علي : خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي فقال لي : يا بني إن بث البارحة أوقف أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان فملكنتي عينا ، فسئح لي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ فقال : « ادع عليهم » فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فجاء ابن النباح فأذنه بالصلاة فخرج ، وخرجت خلفه ، فاعتوره رجلان : أما أحدهما فوقعت ضربته في السدة ، وأما الآخر فأثبتها في رأسه .

وقال جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن علياً رضي الله عنه كان يخرج إلى الصلاة وفي يده دُرَّةٌ يوقف الناس بها ، فضربه ابن ملجم ، فقال علي : أطعموه واشقوه ، فإن عشت فأنا ولي دمي .

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ / ١٤١] . وقال رواه أبو يعلى والبيهقي بتحوه ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون .

رواه غيره وزاد : فَإِنْ بَقِيَتْ قَتَلْتُ أَوْ عَفَوْتُ ، وَإِنْ مِتَّ فَاقْتُلُوهُ قَتَلْتِي وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .

وقال محمد بن سعد لقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي ، فأعلمه بما عزم عليه من قتل علي ، فوافقه ، قال : وجلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي . قال الحسن وأتيته سَخْرًا فجلست إليه ، فقال : إني ملكتني عينايا وأنا جالس فسمح لي النبي ﷺ ، فذكر المنام المذكور .

قال : وخرج وأنا خلفه ، وابن النباح بين يديه ، فلما خرج من الباب نادى : أيها الناس الصلاة الصلاة ، وكذلك كان يصنع في كل يوم ، ومعه درته يوقظ الناس ، فاعترضه الرجلان فضربه ابن ملجم على دماغه ، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق ، وسمع الناس علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل . فشد الناس عليهما من كل ناحية ، فهرب شبيب ، وأخذ عبد الرحمن ، وكان قد سم سيفه .

ومكث علي يوم الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان . فلما دفن أحضروا ابن ملجم . فاجتمع الناس ، وجاءوا بالنفط والبخاري ، فقال محمد بن الحنفية والحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : دعونا نشفي منه ، فقطع عبد الله يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلم ، فكحل عينيه ، فلم يجزع ، وجعل يقول : إنك لتكحل عيني عمك . وجعل يقرأ : ﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] حتى ختمها ، وإن عينيه لتسيلان ، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع ، فجزع ، فقيل له في ذلك . فقال : ما ذلك بجزع ، ولكنني أكره أن أبقي في الدنيا فواقاً لا أذكر الله ففقطعوا لسانه ثم أحرقوه في قوصرة وكان أسمر ، حسن الوجه ، أفلج ، شعره مع شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود .

ويروى أن علياً رضي الله عنه أمرهم أن يحرقوه بعد القتل . وقال جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : صامى الحسن علي علي ، وذفين بالكوفة . عند قصر الإمارة ، وغتم قبره .

وعن أبي بكر بن عياش ، قال : عمّوة لثلاثين شهيد الخوارج . وقال شريك ، وغيره : نقله الحسن بن علي إلى المدينة .

وذكر الميرد ، عن محمد بن حبيب ، قال : أول من حوّل من قبر إلى قبر علي .

وقال صالح بن أحمد النحوي : حدثنا صالح بن شعيب ، عن الحسن بن شعيب الفروي ، أن علياً رضي الله عنه صُيّر في صندوق ، وكثروا عليه الكافور ، وحمل على بعير ، يريدون به المدينة ، فلمّا كان ببلاد طيء ، أضلوا البعير ليلاً ، فأخذته طيء وهم يظنون أن في الصندوق مالاً ، فلمّا رأوه خافوا أن يُطلبوا ، فدفنوه ونحروا البعير فأكلوه .

وقال مطين : لو علمت الرافضة قبر من هذا الذي يزار بظاهر الكوفة لرجمته ، هذا قبر المغيرة بن شعبة .

قال أبو جعفر الباقر : قتل علي رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين . وعنه رواية أخرى أنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وكذا روي عن ابن الحنفية ، وقاله أبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش ، وينصر ذلك ما رواه ابن جريج عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، أنه أخبره أن علياً توفي لثلاث أو أربع وستين سنة .

وعن جعفر الصادق ، عن أبيه ، قال : كان لعليّ سبع عشرة سُريّة .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن هيرة بن يريم قال : خطبنا الحسن بن عليّ ، فقال : لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه إلا الأولون بعلم ، ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله ﷺ يعطيه الراية ، فلا ينصرف حتى يفتح له ، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطائه ، كان أرضها ، لخدام لأهله .

وقال أبو إسحاق عن عمرو الأصم ، قال : قلت للحسن بن عليّ إن الشيعة يزعمون أن عليّاً مبعوث قبل يوم القيامة . فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ^(١) .
ولو استوعبنا أخبار أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه لطال الكتاب ^(٢) .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٣ / ٣٩] .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي [٣ / ٢٥١-٢٥٥] .

الحسن بن علي

رضي الله تعالى عنهما

هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو محمد سبط النبي ﷺ وشبيهه يكنى أبا محمد .

أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي ﷺ ، ويلقب بالثقي والسيد .

ولد منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، قال أبو عمرو : هذا أصح ما قيل ، وقيل في شعبان وقيل سنة أربع وقيل سنة خمس ، قال في الإصابة : والأول أثبت . سماه النبي ﷺ الحسن ، وعق عنه يوم سابع ولادته ، وحلق شعر رأسه ، وتصدق بزنة شعره فضة وهو خامس أهل الكساء .

وقال أبو أحمد العسكري : سماه النبي ﷺ الحسن وكثاء أبا محمد ولم يكن يُعرف هذا الاسم في الجاهلية .

وروي عن ابن الأعرابي عن الفضل قال : إن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمي بهما النبي ﷺ ابنه الحسن والحسين .

قال فقلت له : والذي باليمن ؟ قال ذلك حسن بسكون السين ، وخسين بفتح الحاء وكسر السين ، ولا يعرف قبلهما إلا اسم رملة في بلاد ضبة^(١) .

قال علي : لما ولد الحسن رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ :

(١) قال باقوت : الحسان ثنية الحسن - ضد القبيح - كشيان معروفان في بلاد بني ضبة يقال لأحدهما الحسن وللآخر الحسين . والحسن شجر سمي بذلك لحسنه ونسب الكتيب إليه فقيل لنا الحسن .

« أروني ابني ما سميتموه ؟ » . قلت : حربياً . قال : بل هو حَسَن ، فلَمَّا وُلد الحسين قال : « أروني ابني ما سميتموه ؟ » . قلت : حربياً قال : بل هو حسين . فلَمَّا وُلد الثالث قال : « أروني ابني ما سميتموه ؟ » . قلت : حربياً ، قال : بل هو محسن . ثُمَّ قال : سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشير وبشير . وفضائله كثيرة مشهورة .

وَلِي الخِلافة بعد أبيه رضي الله تعالى عنهما لعشر ليال بقين من رمضان سنة أربعين من الهجرة ستة أشهر ، وبإيعه أكثر من أربعين ألفاً ، ثُمَّ نزل عنها لمعاوية في النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقيل لخمس بقين من ربيع الأول وقيل في ربيع الآخر .

قال ابن الأثير يقول : من قال سنة إحدى وأربعين أصح ما قيل فيه ، وأما من قال بتزوله سنة أربعين فقدوهم ، وكان نزوله مصداق قول جده ﷺ « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »^(١) وأي شرف أعظم من شرف من سماه النبي ﷺ سيداً .

وَرَوَى أبو القاسم البغوي والدولابي عن قابوس بن المخارق قال : إن أم الفضل قالت لرسول الله ﷺ : رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي ، فقال رسول الله ﷺ : خيراً رأيت ، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن ابنك قثم . فولدت حسناً فأرضعته بلبن قثم . قالت فحجت به يوماً إلى النبي ﷺ فوضعت في حجره فضرب كتفه ، فقال النبي ﷺ : لِمَ أرضعت ابني يرحمك الله ؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه »^(٢) .

وعن الأبراء رضي الله عنه قال : رأيت الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما علي عاتق رسول الله ﷺ وهو يقول : « اللَّهُمَّ إني أحبه فأحبه »^(٣) .

(١) رواه الطبراني في الصغير [٧٦٦] والكبير [٢٥٩٢/٣٤/٣] والحديث في البخاري [٣٧٤٦]

بلفظ « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

(٢) أخرجه مسلم [٥٦/٢٤٢١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) أخرجه البخاري [٣٧٤٩] ومسلم [٥٨/٢٤٢٢] .

وعن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الحسن والحسين ويقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَجِبْهُمَا ^(١) » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ حاملاً للحسن على عاتقه فقال رجل : نعم المركب ركبت . فقال عليه الصلاة والسلام : نعم الراكب هو ^(٢) .

وروى الإمام أحمد في المناقب عن أبي زهر بن الأرقم - رجل من الأزدي - رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي : « من أحبني فليحبه ، فليبلغ الشاهد الغائب » . ولولا عزيمة رسول الله ﷺ ما حدثتكم ^(٣) .

وروى الطيالسي والبخاري وابن عساکر عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحبني فليحبه هذا » يعني الحسن .

وروى ابن حبان عن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله ﷺ يقعدني على فخذه ويقعد الحسن علي فخذه الآخر ويقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَرْحَمُهُمَا فَارْحَمْهُمَا ^(٤) » .

وروى الدولابي عن محمد بن عبد المؤمن مولى بني هاشم أن النبي ﷺ رأى الحسن مقبلاً ، فقال : « اللَّهُمَّ سلمه وسلم منه » .

وروى أبو سعيد بن الأعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا زلت أحب هذا الرجل - يعني حسناً - بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع ، رأيت الحسن في حجر رسول الله ﷺ وهو يدخل لسانه في فمه أو لسان الحسن في فمه ، ثم قال : « إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَجِبْهُ وَأَجِبْ مَنْ يُحِبُّهُ » .

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى الحسن بن علي رضي الله عنهما في بعض طرق المدينة فقال : اكشف عن بطنك فذاك أبي حتى أقبل

(١) أخرجه البخاري [٣٧٤٧] .

(٢) رواه الترمذي [٣٧٨٤] وضعفه الألباني [٧٩٠] .

(٣) رواه أحمد في المسند [٣٦٦/٥] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه [٦٩٦١] وقال الأرنؤوط : حديث صحيح .

حيث كان رسول الله ﷺ يقبل ، فكشف له عن بطنه فقَبِلَ سرته (١) .

وزَوَى ابن أبي الدنيا وأبو بكر الشافعي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : رأيت الحسن بن علي يأتي رسول الله ﷺ وهو ساجد فيركبه على ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، ويأتي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وزَوَى أبو سعيد الأعرابي عن سعيد رضي الله عنه تعالى قال : جاء الحسن إلى النبي ﷺ وهو ساجد ، فركب على ظهره ، فأخذه النبي ﷺ بيده ، فأقامه على ظهره ثم ركع ثم أرسله فذهب .

وزَوَى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن معشر البربوعي قال : قال عليُّ للحسن ابنه رضي الله عنهما : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع . قال : يَبَيِّنُ . قال : اليقين ما رأته عينك ، والإيمان ما سمعته أذنك ، وصدقت به .

قال علي أشهد أنك ممن أنت منه ، ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّمَّنْ لَمَّ يَتَّبِعُنِي ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

وزَوَى الدولابي عن زيد بن الحسن رضي الله تعالى عنهما قال : خطب الحسن رضي الله تعالى عنه الناس حين قُتِلَ أبوه رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد فُضِّصَ في هذه اللَّيْلَةِ رجل لم يسبقه الأولون ولم يشركه الآخرون ، وكان رسول الله ﷺ يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فما يرجع حتى يفتح الله عزَّ وجلَّ عليه ، ما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلا أربعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله . ثم قال : يا أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن الوصي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن المنذر وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله محبتهم علي كل مسلم فقال تبارك وتعالى لتبنيهم ﷺ : ﴿ قُلْ لَا أَشْتَكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْرِفْ حَسَنَةً نَّرِدْ لَهَا حَسَنًا ﴾ [النورى : ٢٣] فافتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

(١) رواه أحمد في المسند [٤٨٨/٢] ، وابن حبان في صحيحه [٦٩٦٥] وقال الأرنؤوط :

قال صاحب السيرة الشامية : بايعه أكثر من أربعين ألفاً . وقال صالح ابن الإمام أحمد سمعت أبي يقول : بايع الحسن تسعون ألفاً بنقدسيم التاء فترك الخلافة وصالح معاوية لئلا يسار إليه من الشام وسار إلى معاوية ، فلما تقاربا أرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر على أن تكون الخلافة له بعده ، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز بشيء مما كان في أيام بني أمية وغير ذلك .

وظهرت المعجزة النبوية في قوله عليه الصلاة والسلام : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (١) .

ولم يسفك في أيامه محجمة دم وهي نحو سبعة أشهر ، وكان صلحهما لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقيل في النصف من جمادى الأولى من السنة المذكورة على الخلاف المتقدم في ذلك ، فإن مدة الخلافة التي ذكرها عليه الصلاة والسلام انتهت بخلافته ولم يبق إلا الملك ، وقد صان الله تعالى أهل البيت منه .

قال أبو بشر الدولابي : أقام الحسن رضي الله تعالى عنه بالكوفة إلى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقتل عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تعالى ، ويقال أنه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فتدرت ، وقتله . ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة كما تقدم نقل ذلك عن الذهبي ، واصطلحا ، وسلم إليه الأمر ؛ وبايع له لخمس بقين من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وأخذ منه خمسمائة ألف كما تقدم نقل ذلك عن الذهبي .

وزوى أبو نعيم وغيره عن الشعبي رحمه الله أنه قال : أما بعد فإن أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت عليه أنا ومعاوية إنما هو حق لا مراءى ، فإن كان له فهو أحق بحقه ، وإن كان لي فقد تركته له إرادة صلاح الأمة وحقن دماهم ﴿ **وَإِنَّ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَشْنَعُ لَكُم** وَمَنَعَ لِكُمْ جِيءَ ﴾ ثم نزل .

قلت رأيت في المسعودي : أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن

(١) سبق تخريجه .

بأمر الحسن فيخطب ، فكره معاوية ذلك ، فألزمه عمرو وقال : أريد أن يبدو عيه في الناس ، فإنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي . فأمر معاوية الحسن فقام وشهد في بديته ثم قال : يا أهل الكوفة لو لم تذهل نفسي إلا لثلاث لذهلت : مقتلكم أبي ، ونهبكم رحلي ، وطعنكم فخذني . وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا .

ومن مناقبه جوده وزهده في الدنيا ، وقوله : إني لأستحيي من الله عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمضى عشرين حجة من المدينة على رجله ، وإن الجنائب لتقاد بين يديه . وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله ثلاث مرات حتى إنه كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً .

وقال محمد بن سيرين : ربما كان يجير الواحد بمائة ألف . واشترى حائطاً من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف ، وإنه بلغه أنهم احتاجوا إلى ما في أيدي الناس فرده إليهم . ولم يقل لسائل قط لا . ولا يأنس به أحد فيدعه يحتاج إلى غيره . ورأي غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هنالك لقمة ، فقال : ما يحملك على هذا ؟ فقال الغلام : إني أستحيي أن أكل ولا أطعمه ، فقال الحسن : لا تبرح حتى آتيك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه وأعتقه وملّكه الحائط ، فقال الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبني إليه .

وكان الحسن سيداً حليماً زاهداً عاقلاً فاضلاً فصيحاً ذا سكينه ووفار جواداً يكره الفتش وسفك الدماء ، دعاه ورعه وزهده إلى ترك الخلافة ، وقال : خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو أكثر تنضح أوداجهم دماً . وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأكرمهم وأجودهم وأطيبهم كلاماً ، وأكثرهم حياءً ، وكان أكثر دهره صائماً ، وكان فعله يسبق قوله في المكارم والجود ، وكان كثير الأفضال على إخوانه لا يغفل عن أحد منهم ولا يحوجه إلى أن يسأله ، بل يتقدمه بالعطاء قبل السؤال .

وقال لأصحابه : إني أخبركم عن أخ كان من أعظم الناس في عيني ، وكان الذي عظمه في عيني صغير الدنيا في عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطشه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر إذا وجد انتهى .

وما سُمع من الحسن كلمة فحش قط ، وأعظم ما سمع منه أنه كان بينه وبين شخص خصومة فقال : إنه ليس عندنا إلا ما رضم أنفه . قلت هذا الشخص المبهم هو « مروان بن الحكم الأموي » .

وقيل له : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلي من الغني ، والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله عز وجل لم يتمن غير الحالة التي اختارها الله عز وجل . وهذا أخذ الوقوف على الرضي بما يصرف به القضاء

ومن كلامه رضي الله تعالى عنه : كن في الدنيا بيدك ، وفي الآخرة بقلبك . وكان يقول لبيته وبني أخيه تعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه - أو قال يرويهِ - فليكتبه وليضعه في بيته .

ورأي سيدنا أبو بكر الحسن رضي الله تعالى عنهما وهو يلعب مع الصبيان فحملة أبو بكر على عاتقه وقال : بأبي شيبه بالثبي ﷺ ليس شبيها بعلي ، وعلي رضي الله تعالى عنه يتسم^(١) .

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يُجلّه ويعظّمه ويحترمه ويكرمه ، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

وقد جاء الحسن والحسين يوم الدار وعثمان محصور ومعهما السلاح ليقاتلا عن عثمان فحشي عثمان عليهما وأقسم عليهما ليرجعان إلى منازلهما ، تطيباً لقلب علي وخوفاً عليهما ، وكان علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه ، أرسلهما وأمرهما بذلك ، وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظّمه ويجلّه .

وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ويرى هذا من النعم .

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما .



(١) سيأتي تخريجه صفته رضي الله تعالى عنه .

خلافته

رضي الله تعالى عنه

قال الحافظ الذهبي في تاريخه دول الإسلام قال جرير بن حازم : بايع أهل الكوفة الحسن بن علي بعد أبيه وأحبوه أكثر من أبيه ، ثم سار حتى نزل بالمدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً ، فبينما الحسن بالمدائن إذ نادى مناد : ألا إن قيساً قد قُتل .

فاختبئ الناس ، وانتهبت الغوغاء سراذق الحسن ، حتى نازعوه بساطه تحته ، وطعنه رجل من الخوارج بخنجر مسموم في فخذه فوثب الناس على الرجل فقتلوه لا رحمه الله ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن وكتب معاوية في الصلح .

وروي أنه لما خلع نفسه قام فيهم فقال : ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم ، لكن كنتم في مسيرتكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم ، وأصبحتم اليوم ودينكم أمام دينكم . وتوَجَّع الحسن من تلك الطعنة ثم عوفي ولله الحمد .

ثم سار الحسن يريد الشام ، وأقبل معاوية وكان اجتماعهما بمسكن وهي من أرض السواد من ناحية الأنبار .

قال الحسن البصري : استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص : والله إنني لأرى كتائب لا تولى أو تقتل أقرانها .

فقال معاوية وكان خير الرجلين : رأيت إن قُتِل هؤلاء من لي يذاريهم ، من لي بأمورهم ، من لي بنسائهم ؟ قال : فبعث عبد الرحمن بن ميسرة فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له وبايعه بالخلافة على شروط اشترطها ووثائق ، وحمل إليه معاوية مالا ، يُقال خمسمائة ألف .

وقال أبو العريف : لَمَّا ورد الحسن إلى الكوفة بعد مبايعته معاوية ، قال له رجل من همدان يُقال له أبو عامر : السلام عليك يا مُبْدِلَ المسلمين . فقال : لستُ بِمُبدِلِ المسلمين ، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك . ثم قال له آخر : يا عار المسلمين . فقال : العار خَيْرٌ من النار . ثم إنَّ الحسن رضي الله تعالى عنه رجع مع آل بيته من الكوفة ونزل المدينة وسمي هذا العام المذكور وهو عام إحدى وأربعين « عام الجماعة » لاجتماع الأمة على خليفة واحد هو معاوية بعد نزول الحسن رضي الله تعالى عنه لها .



صفته

رضي الله تعالى عنه

كان أبيض اللون ، مشرباً بالحمرة ، أدمج العينين ، سهل الخدين ، دقيق المسربة ، ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ، من أحسن الناس وجهاً ، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ من تحت الصدر إلى الرأس^(١) .

غمر سبعمائة وأربعين سنة وقيل ثمانين وأربعين ، كان منها مع جده رسول الله ﷺ سبع سنين ، ومع أبيه علي بعد وفاة رسول الله ﷺ ثلاثين سنة ، وعاش بعد وفاة أبيه علي كرم الله وجهه إلى حين وفاته رضي الله تعالى عنه عشر سنين ، مدة خلافته منها ستة أشهر وثلاثة أيام .

أولاده تسعة عشر ولداً : تسعة ذكور ، الحسن ، وزيد ، وحسين الأثرم ، وعبد الله ، وأبو بكر ، وعبد الرحمن ، والقاسم ، وطلحة ، وعمر ، قاله البلاذري .

وذكر المحب الطبري في ذخائر العقبى نقلاً عن الدولابي أنهم خمسة : الحسن ، وزيد ، وعبيد الله ، وعمر ، وإبراهيم .

وعن أبي بكر بن الدارح أنهم أحد عشر ذكراً وبنت : عبد الله القاسم ، والحسن ، وزيد ، وعمر ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وأحمد ، وإسماعيل ، والحسين ، وعقيل ، والأشعث أم الحسن .

(١) أخرجه البخاري [٣٧٥٠] عن عفة بن حارث رضي الله تعالى عنه قال : « رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول شبهه بالشئ ، ليس بشبهه بعلي ، وعلى يضحك » .

وفي رواية له [٣٧٥٢] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : « لم يكن أحد أشبه بالشئ ﷺ من الحسن بن علي » .

وعلى كل الروايات العقب منه في رجلين فقط هما زيد
والحسن المثنى . وكان قد أعقب أيضا من الحسين الأثرم وعمر ،
لكن انقرض عقبهما فلم يبق للحسن السبط إلا من هذين الشخصين
الحسن المثنى ، وزيد ابني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه وكرم وجهه .

الحسين الشهيد

الإمام الشريف الكامل ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وريحائه من الدنيا ، ومحبوه . أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين أبي
الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
القرشي الهاشمي

حدث عن جده ، وأبويه ، وصهره عمر ، وطائفة . حدث عنه :
ولداه علي وفاطمة ، وعبيد بن حنين ، وهمام الفرزدق ، وعكرمة ،
والشعبي ، وطلحة العقيلي ، وابن أخيه زيد بن الحسن ، وحفيده محمد بن
علي الباقر ، ولم يدركه ، وبنته سكينه ، وآخرون .

قال الزبير : مولده في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة . قال جعفر
الصادق : بين الحسن والحسين في الحمل طهر واحد .

قد مرت في ترجمة الحسن عدة أحاديث متعلقة بالحسين .

زوى هانئ بن هانئ ، عن علي رضي الله تعالى عنه ، قال : الحسين
أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من صدره إلى قدميه ^(١) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، قال : شهدت ابن زياد حين أوتي
برأس الحسين ، فجعل ينكت بقضيب معه ، فقلت : أما إنه كان أشبههما
بالنبي ﷺ ^(٢) .

(١) زوى الترمذي [٣٧٧٩] وضعفه الألباني ، عن علي رضي الله تعالى عنه قال : الحسن
أشبه برسول الله ﷺ بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل
من ذلك .

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة [١٣٩٤/٧٨٤/٢] ، والترمذي يلفظ : عن أنس بن مالك
قال : كنت عند ابن زياد فجئ برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيت
مثل هذا حسناً ، قال قلت : أما إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ وصححه الألباني .

وعن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : رأيت الحسين بن علي أسود الرأس واللحية إلا شعرات في مقدم لحيته .

وعن ابن أبي نعم ، قال : كنت عند ابن عمر ، فسأله رجل عن دم البعوض ، فقال : ممن أنت فقال : من أهل العراق . قال : انظر إلى هذا يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هما ريحائتي من الدنيا »^(١) .

وعن أبي أيوب الأنصاري ، قال : دخلت على رسول الله ﷺ ، والحسن والحسين يلعبان بين يديه وفي حجره ، فقلت : يا رسول الله ! أتحبهما ؟ قال : « كيف لا أحبهما وهما ريحائتي من الدنيا »^(٢) .

وعن أبي هريرة قال : كان الحسين عند النبي ﷺ ، وكان يحبه حباً شديداً ، فقال : « اذهب إلى أمك » فقلت : أذهب معه ؟ فقال : « لا » فجاءت بركة ، فمشى في ضوئها حتى بلغ^(٣) .

وعن جابر أنه قال - وقد دخل الحسين المسجد - : « من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا » سمعته من رسول الله ﷺ^(٤) .

وعن أم سلمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل علياً وفاطمة وابنيهما بكساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي »^(٥) اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . فقلت : يا رسول الله ! : أنا منهم ؟ قال : « إنك إلى خير »^(٦) .

(١) أخرجه البخاري [٣٥٤٣] والترمذي واللفظه وصححه الألباني .

(٢) رواه الطبراني في الكبير [٣٩٩٠/١٥٥/٤] وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : [١٨١/٩] فيه الحسن بن عتبة . وهو ضعيف .

(٣) رواه الطبراني في الكبير [٢٦٦٠/٥٢/٣] الهيثمي في المجمع [١٨٦/٩] وفيه موسى بن عثمان وهو متروك .

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة [١٣٧٢/٧٧٥/٢] وقال الهيثمي في المجمع [١٨٧/٩] : رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد وهو ثقة .

(٥) حامة الإنسان : خاصته وما يقرب منه ، وهو الحميم أيضاً .

(٦) رواه الترمذي [٣٧٨٧ ، ٣٢٠٥] وغيره . وقال الأرنؤوط : حديث صحيح بطريقه وشواهده . [سير أعلام النبلاء : ٢/٣ : ٢٥٤] .

عن يعلى العامري ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « حسين سبط من الأسباط ، من أحبني فليحب حسيناً . وفي لفظ : أحب الله من أحب حسيناً » (١) .

وعن عبد الله : رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين ، ويقول : « هذان ابناي ، فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » (٢) .

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع الجنائز فطلع الحسن والحسين فاعتركا فقال النبي ﷺ : « إيهما حسن » . فقال علي : يا رسول الله ! أعلى حسين ثوالبه ؟ فقال : « هذا جبريل يقول : إيهما حسين » (٣) .

وعن عبيد بن حنين ، عن الحسين ، قال : صعدت المنبر إلى عمر فقلت : انزل عن منبر أبي ، واذهب إلى منبر أبيك . فقال : إن أبي لم يكن له منبر ! فأقعدني معه فلما نزل ، قال : أي بني ! من علمك هذا ؟ قلت : ما علمني أحد . قال : أي بني ! وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم ! ووضع يده على رأسه ، وقال : أي بني ! لو جعلت ثأرتنا وتغشانا (٤) .

وروى جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن عمر جعل للحسين مثل عطاء علي خمسة آلاف .

وعن الزهري : أن عمر كسا أبناء الصحابة ؛ ولم يكن في ذلك ما يصلح للحسن والحسين ؛ فبعث إلى اليمن ، فأوتي بكسوة لهما ، فقال : الآن طابت نفسي .

(١) رواه الترمذي [٣٧٧٥] وصححه الألباني .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع [١٨٠/٩] ، وعزاه للبزار ، وحسنه الأرنؤوط في سير أعلام النبلاء : [٢٥٤/٣] .

(٣) قال الأرنؤوط : هو على إنقطاعه ضعيف جداً ؛ لضعف علي بن أبي علي اللهيبي . سير أعلام النبلاء : [٢٨٤/٣] .

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه [١٤١/١] ، وذكره الحافظ في «الإصابة» : [٣٣٣/١] وصحح إسناده .

عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، أن عمر الحق الحسن والحسين بفريضة أيهما لقرابتهما من رسول الله ﷺ ، لكل واحد خمسة آلاف .

وعن العيزار بن حريث ، قال : بينا عمرو بن العاص في ظل الكعبة ، إذ رأي الحسين ، فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وعن الأزرق بن قيس ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقف نجران والعاقب^(١) ، فعرض عليهما الإسلام ، فقالا : كنا مسلمين قبلك . قال : « كذبتما ! إنه منع الإسلام منكما ثلاث ؛ قولكما : اتخذ الله ولدا ، وأكلكما الخنزير ، وسجودكما للصنم » .

قالا : فمن أبو عيسى ؟ فما عرف حتى أنزل الله عليه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۗ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِنَّ فِئْتَانًا مِّنَ الْفِئْتَمِ الْأَعْيَىٰ ۗ ﴾ [آل عمران : ٥٩-٦٢] ، فدعاهما إلى الملاعنة^(٢) وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين ، وقال : هؤلاء بنوي قال : فخلا أحدهما بالآخر ، فقال : لا تلاعنه ، فإن كان نبياً ، فلا بقية ، فقالا : لا حاجة لنا في الإسلام ولا في ملاعنتك ، فهل من ثالثة ؟ قال : نعم ؛ الجزية فأقرا بها ، ورجعا^(٣) .

وعن سعيد بن عمرو ؛ أن الحسن قال للحسين : وددت أن لي بعض شدة قلبك ، فيقول الحسين : وأنا وددت أن لي بعض ما بسط من لسانك .

وعن أنس ، قال : استأذن ملك القطر على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « يا أم سلمة ! احفظي علينا الباب » فجاء الحسين ، فأتحم ، وجعل يتوثب على النبي ﷺ ورسول الله يقبله . فقال الملك : أتحبه ؟ قال : « نعم » . قال : إن أمتك ستقتله ، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه .

(١) هو أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذين لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره .

(٢) الملاعنة : وهي التي جاءت في الآية الكريمة ﴿ قُلْ مَا تَلْعَنُوا إِنَّمَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْعَنَاءِ وَأُنشَأُكُمْ وَيُؤْتِيكُمْ وَيُنشَأُكُمْ وَأَنْتُمْ لَمَّا تَلْعَنُوا قُلْ مَا تَلْعَنُوا إِنَّمَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْعَنَاءِ وَأُنشَأُكُمْ وَيُؤْتِيكُمْ وَيُنشَأُكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦١] .

(٣) أورده السيوطي في « الدر المنثور [٢٨/٢] ونسبه لابن سعد وعبد بن حميد . وانظر ابن

قال : « نعم » ، فجاءه بسهولة أو تراب أحمر^(١) . قال ثابت : كنا نقول : إنها كربلاء .

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم ، فاستيقظ وهو خائر ، ثم رقد ، ثم استيقظ خائراً ، ثم رقد ، ثم استيقظ ، وفي يده تربة حمراء ، وهو يقلبها .

قلت : ما هذه ؟ قال : أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق ، للحسين ، وهذه تربتها^(٢) .

عن ابن عباس ، قال : استشارني الحسين في الخروج . فقلت : لولا أن يزري بي وبك ، لنسبت يدي في رأسك . فقال : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن أستحل حرمتها ، يعني مكة . وكان ذلك الذي سلب نفسي عنه^(٣) .

عن الشعبي قال : كان ابن عمر قدم المدينة ، فأخبر أن الحسين قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين . فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، ومعه طوامير وكتب ، فقال : لا تأتهم . قال : هذه كتبهم وبيعتهم . فقال : إن الله خير نبيه بين الدنيا والآخرة ، فاختر الآخرة ، وإنكم بضعة منه ، لا يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فارجعوا ، فأبى ، فاعتقه ابن عمر ، وقال : أستودعك الله من قتيل^(٤) .

وعن بشر بن غالب ، أن ابن الزبير قال للحسين : إلى أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك ، وطعنوا أخاك ؟ فقال : لأن أقتل أحب إلي من أن تستحل ، يعني مكة^(٥) .

(١) رواه أحمد في المسند [٢٥٢، ٢٤٢/٣] وفيه عمارة بن زاذان كثير الخطأ ، وبقي رجاله ثقة ، وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک [٨٢٠٢/٤٤٠/٤] والطبراني في الكبير [٧٨٢١] وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع [١٩٢/٩] . وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٤) تهذيب ابن عساکر [٣٣٢/٤] .

(٥) ذكره ابن كثير في « البداية » [١٦٦/٨] .

عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، وسمي طائفة ، ثم قال :
فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين . قال : كان أهل الكوفة يكتبون
إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية ، كل ذلك يأبي ، فقدم
منهم قوم إلى محمد بن الحنفية ، وطلبوا إليه المسير معهم ، فأبي وجاء إلى
الحسين ، فأخبره ، وقال : إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ، ويشيطوا
دماؤنا ، فأقام حسين على ما هو عليه متردد العزم ، فجاءه أبو سعيد
الخدري ، فقال : يا أبا عبد الله ، إنني لك ناصح ومشفق ، وقد بلغني أنه
كاتبك قوم من شيعتك ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة
والله لقد مللتهم وملوني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وما بلوت منهم وفاء أ ،
ولا لهم ثبات ولا عزم ولا صبر على السيف ^(١) .

قال : وقدم المسيب بن نجبة وعدة إلى الحسين بعد وفاة الحسن ،
فدعوه إلى خلع معاوية ، وقالوا : قد علمنا رأيك ورأي أخيك ، فقال :
أرجو أن يعطي الله أخي على نيته ، وأن يعطيني على نيتي في حبي جهاد
الظالمين ^(٢) .

وكتب مروان إلى معاوية : إنني لست آمن أن يكون الحسين مرصدا
للفتنة ، وأظن يومكم منه طويلا ^(٣) .

فكتب معاوية إلى الحسين : إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير
أن يفني ، وقد أثبت بأن قوماً من الكوفة دعوك إلى الشقاق ، وهم من قد
جربت ، قد أفسدوا على أبيك وأخيك ، فاتق الله ، واذكر الميثاق ، فإنك
متى تكذني ، أكذك ^(٤) .

فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك ، وأنا بغير الذي بلغك جدير ، وما
أردت لك محاربة ولا خلافا ، وما أظن لي عذراً ثم الله في ترك جهادك ، وما

(١) تهذيب ابن عساکر [٤/٣٢٩، ٣٣٠] .

(٢) تهذيب ابن عساکر [٤/٣٣٠] .

(٣) تهذيب ابن عساکر [٤/٣٣٠] .

(٤) تهذيب ابن عساکر [٤/٣٣٠] .

أعلم فتنة أعظم من ولايتك . فقال معاوية : إن أئرتنا بأبي عبد الله إلا أسداً^(١) .
قالوا : ولما حضر معاوية ، دعا يزيد ، فأوصاه ، وقال : انظر
حسيناً ، فإنه أحب الناس إلى الناس ، فصل رحمته ، وارفق به ، فإن يك منه
شيء ، فسيفيك الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه .

ومات معاوية في نصف رجب ، وبايع الناس يزيد ، فكتب إلى والي
المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أن ادع الناس وبايعهم ، وابدأ
بالوجوه ، وارفق بالحسين ، فبعث إلى الحسين وابن الزبير في الليل ،
ودعاهما إلى بيعة يزيد ، فقالا : نصبح وننظر فيما يعمل الناس . ووثبا ،
فخرجا . وقد كان الوليد أغلظ للحسين ، فشتمه حسين ، وأخذ بعمامته ،
فنزعا ، فقال الوليد : إن هجنا بهذا إلا أسداً . فقال له مروان أو غيره :
اقتله . قال : إن ذلك لدم مصون^(٢) .

وخرج الحسين وابن الزبير لوقتئها إلى مكة ، ونزل الحسين بمكة دار
العباس ، ولزم عبد الله الحجر ، ولبس المعافري^(٣) ، وجعل يحرض علي
بني أمية ، وكان يغدر ويروح إلى الحسين ، ويشير عليه أن يقدم العراق ،
ويقول : هم شيعتكم . وكان ابن عباس ينهاه^(٤) .

وقال له عبد الله بن مطيع : فذاك أبي وأمي ، متعنا بنفسك ولا تسر ،
فوالله لئن قتلت ليتخذونا خولاً وعميدا^(٥) .

ولقيهما عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة منصورين
من العمرة ، فقال لهما : أذكركما الله إلا رجعتما ، فدخلتما في صالح ما
يدخل فيه الناس وتظنران ، فإن اجتمع عليه الناس لم تشدأ ، وإن افترق عليه
كان الذي تريدان^(٦) .

(١) تاريخ الإسلام للذهبي [٣٤١/٢] .

(٢) تهذيب ابن عساكر [٣٣٠/٤] .

(٣) المعافري : « برود باليمن منسوبة إلى قبيلة « معافر » .

(٤) تهذيب ابن عساكر [٣٣١/٤] .

(٥) طبقات ابن سعد [١٤٥/٥] و« تهذيب ابن عساكر » [٣٣١/٤] .

(٦) تهذيب ابن عساكر [٣٣١/٤] .

وكتبت إليه عمرة تعظم ما يريد أن يصنع ، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه وتقول : حدثني عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل حسين بأرض بابل » . فلما قرأ كتابها ، قال : فلا بد إذن من مصرعي ^(١) .

وكتب إليه عبد الله بن جعفر يحذره ويناشده الله . فكتب إليه : إني رأيت رؤيا ، رأيت فيها رسول الله ﷺ ، وأمرني بأمر أنا حاضر له ^(٢) .

وأبي الحسين على كل من أشار عليه إلا المسير إلى العراق ^(٣) . وقال له ابن عباس إني لأظنك ستقتل غدا بين نساتك وبناتك كما قتل عثمان ، وإني لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ^(٤) .

وقال أبو بكر بن عباس : كتب الأحنف إلى الحسين : ﴿ فَأَضِرَّ إِنْ وَقَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْخِفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] .

وعن لُبَّة بن الغزدي عن أبيه قال : لقيت الحسين ، فقلت : الفلوب معك ، والسيوف مع بني أمية ^(٥) .

وزوى ابن سعد بأسانيده : قالوا : وأخذ الحسين طريق العذيب ^(٦) ، حتى نزل قصر أبي مقاتل ^(٧) ، فخفق خفقة ، ثم استرجع ، وقال : رأيت كأن فارساً يسايرنا ، ويقول : القوم يسيرون ، والمنايا تسري إليهم .

ثم نزل كربلاء ، فسار إليه عمر بن سعد كالمكره إلى أن قال : وقتل أصحابه حوله ، وكانوا خمسين ، وتحول إليه من أولئك عشرون ، وبقي عامة نهاره لا يقدم عليه أحد ، وأحاطت به الرجالة ، وكان يشد عليهم ، فيبهمهم ، وهم يكرهون الإقدام عليه ، فصرخ بهم شمر ! ثكلتكم أمهاتكم ، ماذا تنتظرون به ؟

(١) نهذيب ابن عساکر [٤/٣٣٢، ٣٣٣] .

(٢) تاريخ الطبري [٥/٣٨٨] .

(٣) نهذيب ابن عساکر [٤/٣٣٣] .

(٤) نهذيب ابن عساکر [٤/٣٣٤] .

(٥) انظر الطبري [٥/٣٨٦] .

(٦) قال ياقوت : العذيب : ماء بين القادسية . والمعينة .

(٧) في الطبري [٥/٤٠٧] ، وابن الأثير [٤/١٥٠] .

وطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته ، ثم طعنه في صدره فخرّ ، واحترّ رأسه خولي الأصبحي لا رضي الله عنهما .

وذكر ابن سعد بأسانيد له . قالوا : قدم الحسين مسلماً ، وأمره أن ينزل على هاني بن عروة ، ويكتب إليه بخبر الناس ، فقدم الكوفة مستخفياً ، وأتته الشيعة ، فأخذ بيعتهم ، وكتب إلى الحسين : يا يعني إلى الآن ثمانية عشر ألفاً ، فعجل ، فليس دون الكوفة مانع ، فأعدّ السير حتى انتهى إلى زباله^(١) ، فجاءت رسل أهل الكوفة إليه بديوان فيه أسماء مائة ألف ، وكان على الكوفة النعمان بن بشير ، فخاف يزيد أن لا يقدم النعمان على الحسين . فكتب إلى عبيد الله وهو على البصرة . فضم إليه الكوفة ، وقال له : إن كان لك جناحان ، فاطر إلى الكوفة ! فبادر متعمماً متنكراً ومزّ في السوق ، فلما رآه السفلة ، اشتدوا بين يديه : يظنون الحسين ، وصاحوا : يا ابن رسول الله ! الحمد لله الذي أرانك ، وقبلوا يده ورجله ، فقال : ما أشد ما فسد هؤلاء ثم دخل المسجد ، فصلّى ركعتين ، وصعد المنبر وكشف لثامه ، وظفر برسول الحسين . وهو عبد الله بن بقطر ، فقتله وقدم مع عبيد الله ؛ شريك بن الأعور - شيعي - ؛ فنزل على هاني بن عروة ، فمرض ، فكان عبيد الله يعوده ، فهبؤوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً ليغتالوه ، فلم يتم ذلك . وفهم عبيد الله ، فوثب وخرج ، فتمّ عليهم عبدّ لهاني ، فبعث إلى هاني ، وهو شيخ ، فقال : ما حملك على أن تجير عدوي ؟ قال : يا ابن أخي ، جاء حق هو أحق من حقلك ، فوثب إليه عبيد الله بالعنزة حتى غرز رأسه بالحائط .

ويبلغ الخبر مسلماً ، فخرج في نحو الأربع مئة ، فما وصل إلى العصر ، إلّا في نحو الستين ، وغربت الشمس ، فاقتلوا ، وكثر عليهم أصحاب عبيد الله وجاء الليل ، فهرب مسلم ، فاستجار بامرأة من كندة ، ثمّ جيء به إلى عبيد الله ، فقتله ؛ فقال : دعني أوص . قال : نعم . فقال لعمر بن سعد : يا هذا ! إن لي إليك حاجة ، وليس هنا قرشي غيرك ، وهذا الحسين قد أظلك ،

(١) قال ياقوت : زباله : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة .

فأرسل إليه لينصرف ، فإنَّ القوم قد غرَّوه ، وكذبوه ، وعليَّ دينٌ فأفضِهْ عني ،
 ووارِ حشِّي ، ففعل ذلك . وبعث رجلاً على ناقة إلى الحسين ، فلقبه على أربع
 مراحل ، فقال له ابنه عليُّ الأكبر : ارجع يا أبه ، فإنَّهم أهل العراق وغدرهم
 وقلة وفائهم . فقالت بنو عقيل : ليس يحين رجوع ، وحرصوه ، فقال حسين
 لأصحابه : قد ترون ما أتانا ، وما أرى القوم إلا سيخذلوننا ، فمن أحبَّ أن
 يرجع ، فليرجع ، فانصرف عنه قوم .

وأما عبيد الله فجمع المقاتلة ، وبذل لهم المال ، وجَهَّز عمر بن سعد
 في أربعة آلاف ، فأبى ، وكره قتال الحسين ، فقال : لئن لم تسر إليه
 لأعزلنك ، ولأهدمن دارك ، وأضرب عنقك . وكان الحسين في خمسين
 رجلاً ، منهم تسعة عشر من أهل بيته ، وقال الحسين : يا هؤلاء ! دعونا
 نرجع من حيث جئنا . قالوا : لا وبلغ ذلك عبيد الله ، فهَمَّ أن يخلي عنه ،
 وقال : والله ما عرض لشيء من عملي ، وما أراني إلا محلَّ سبيله يذهب
 حيث يشاء ، فقال شمر : إن فعلت ، وفانك الرجل ، لا تستقبلها أبداً .
 فكتب إلى عمر :

الآن حيث تعلقته حبالنا يرجو النجاة ولات حين مناص^(١)

فناهضه ، وقال لشمر : سر فإنَّ قاتل عمر ، وإلا فاقتله ، وأنت على
 الناس وضبط عبيد الله الجسر ، فمَنع من يجوزه لما بلغه أن ناساً يتسللون
 إلى الحسين .

قال : فركب العسكر ، وحسين جالس ، فرأهم مقبلين ، فقال لأخيه
 عباس : القهم فسلهم : ما لهم ، فسألهم ، قالوا أتانا كتاب الأمير يأمرنا أن
 نعرض عليك النزول على حكمه ، أو نناجرك . قال : انصرفوا عنا العشية
 حتى ننظر الليلة ، فانصرفوا .

وجمع حسين أصحابه ليلة عاشوراء ، فحمد الله ، وقال : إني لا
 أحسب القوم إلا مقاتليكم غداً ، وقد أذنت لكم جميعاً ، فأنتم في حلِّ

(١) رواية الشطر الأول في الطبري [٤١١/٥] ، وابن الأثير [٥٣/٤] : الآن إذ عقلت مخالبتنا

مني ، وهذا الليل قد غشيتكم ، فمن كانت له قوة ، فليضم إليه رجلاً من أهل بيتي ، وتفرقوا في سوادكم ، فإنهم إنما يطلبونني ، فإذا رأوني ، لهوا عن طلبكم . فقال أهل بيته : لا أبقانا الله بعدك والله لا نفارقك ، وقال أصحابه كذلك (١) .

فلما أصبحوا ، قال الحسين : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت فيما نزل بي ثقة ، وأنت ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة .

وقال لعمر وجنده : لا تعجلوا والله ما أتيتكم حتى أتني كتب أمثالكم بأن السنة قد أميتت ، والنفاق قد نجم ، والحدود قد غطلت ، فاقدم لعل الله يصلح بك الأمة . فاتيت ؛ فإذا كرهتم ذلك ، فأنا راجع ، فارجعوا إلى أنفسكم ، هل يصلح لكم قتلي ، أو يحل دمي ؟ ، ألس ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه ؟ أوليس حمزة والعباس وجعفر عمومي ؟ ألم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفي أخي : « هذان سيदा شباب أهل الجنة » ؟ .



فقال شمر هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول فقال عمر : لو كان أمرك إلي ، لأجبت . وقال الحسين : يا عمر ! ليكونن لما ترى يوم يسوؤك . اللهم إن أهل العراق غرؤوني ، وخذعوني ، وصنعوا بأخي ما صنعوا . اللهم شئت عليهم أمرهم ، وأحصبهم عدداً .

فكان أول من قاتل مولى لعبيد الله بن زياد ، فبرز له عبد الله بن نميم الكلبي ، فقتله والحسين جالس عليه جبة خز دكناء والنبيل يقع حوله فوقت نبلة في ولد له ابن ثلاث سنين ، فلبس لأمته وقاتل حوله أصحابه حتى قتلوا جميعاً ، وحمل ولده علياً يرتجز :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالشبي

(١) الكامل لابن الأثير [٤/٥٧] .

فجاءته طعنة ، وعطش حسين فجاء رجل بماء فتناوله ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع في فيه ، فجعل يتلقى الدم بيده ويحمد الله ، وتوجه نحو المسناة يريد الفرات ، فحالوا بينه وبين الماء ورماء رجل بسهم فأثبته في حنكه ، وبقي عامة يومه لا يقدم عليه أحد ، حتى أحاطت به الرجالة ، وهو رابط الجأش ، يقاتل قتال الفارس الشجاع ، إن كان ليشد عليهم فيتكشفون عنه انكشاف المعزى شد فيها الأسد ، حتى صاح بهم شمر : ثكلتكم امهاتكم ! ماذا تنتظرون به ؟ فانتهى إليه زرعة التميمي ، فضرب كتفه ، وضربه الحسين على عاتقه ، فصرعه ، وبرز سنان النخعي فطعنه في ترقوته وفي صدره ، فخر ، ثم نزل ليحتز رأسه ، ونزل خولي الأصبحي ، فاحتز رأسه ، وأتى به عبيد الله بن زياد فلم يعطه شيئا .

قال : ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون جراحة ، وقتل من جيش عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسا .

قال : ولم يفلت من أهل بيت الحسين سوى ولده علي الأصغر ، فالحسينية من ذريته كان مريضا ، وحسن بن حسن بن علي ، وله ذرية وأخوه عمرو ولا عقب له ، والقاسم بن عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن عقيل ، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي ، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين ، وزوجته الرباب الكلبيية والدة سكينة وأم محمد بنت الحسن بن علي وعبيد وإماء لهم .

قال : وأخذ ثقل الحسين ، وأخذ رجل حلي فاطمة بنت الحسين وبكى فقالت : لم تبكي ؟ فقال : أسلب بنت رسول الله ﷺ ، ولا أبكي ؟ قالت : فدعه ، قال : أخاف أن يأخذه غيري .

وأقبل عمر بن سعد ، فقال : ما رجع رجل إلى أهله بشر مما رجعت به ، أطعت ابن زياد ، وعصيت الله ، وقطعت الرحم . وورد البشير على يزيد ، فلما أخبره دمعت عيناه ، وقال : كنت أرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين .

وقالت سكينة : يا يزيد ؛ أبنا رسول الله سبايا ؟ قال : يا بنت أخي

هو والله عليّ أشد منه عليك ، أقسمت ولو أن بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه ، ولكن فرقت بينه وبينه سمية ، فرحم الله حسيناً عجل عليه ابن زياد ، أما والله لو كنت صاحبه ، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري ، لأحببت أن أدفعه عنه ، ولوددت أن أتيت به سلمًا . ثم أقبل على عليّ بن الحسين ، فقال : أبوك قطع رحمي ونازعني سلطاني . فقام رجل ، فقال : إن سبأهم لنا حلال ، قال علي : كذبت إلا أن تخرج من ملتنا . فأطرق يزيد ، وأمر بالنساء ، فأدخلن على نسائه وأمر نساء آل أبي سفيان ، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام ، إلى أن قال : ويكت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فقال يزيد وهو زوجها : حق لها أن تعول على كبير قريش وسيدها .

وقال الفرزدق : لقيت الحسين بذات عرق ، فقال : ما ترى أهل الكوفة صانعين معي ؟ فإن معي حملاً من كتبهم ؛ قلت : يخذلونك ، فلا تذهب .

وكتب يزيد إلى ابن عباس يذكر له خروج الحسين ، ويقول : نحسب أنه جاءه رجال من المشرق ، فمئوه الخلافة ، وعندك منهم خبره ، فإن فعل ، فقد قطع القرابة والرحم ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكفئه عن السعي في الفرقة .

فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروجه لأمر تكره ، ولست أدع النصيحة له .

وبعث حسين إلى المدينة ، فلحق به من خف من بني عبد المطلب ؛ وهم تسعة عشر رجلاً ، ونساء ، وصبيان ، وتبعهم أخوه محمد ، فأدركه بمكة ، وأعلمه أن الخروج يومه هذا ليس برأي ، فأبى ، فمنع محمد ولده ، فوجد عليه الحسين ، وقال : ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه .

وبعث أهل العراق رسلاً وكتباً إليه ، فسار في آله ، وفي ستين شيخاً من أهل الكوفة في عشر ذي الحجة . فكتب مروان إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه : أما بعد : فإن الحسين قد توجه إليك ، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب

إلينا من الحسين ، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء .

وكتب إليه عمرو بن سعيد الأشدق : أما بعد ؛ فقد توجه إليك الحسين ، وفي مثلها تعتق أو تسترق .

عن محمد بن الضحاک ، عن أبيه قال : خرج الحسين ، فكتب يزيد إلى ابن زياد نائبه إن حسيناً صائر إلى الكوفة ، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وأنت من بين العمال ، وعندها تعتق ، أو تعود عبداً فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه .

قال : وسرح عمر بن سعد بحريمه وعباله إلى عبيد الله . ولم يكن بقي منهم إلا غلام كان مريضاً مع النساء فأمر به عبيد الله ليقتل ، فطرحت عمته زينب نفسها عليه ، وقالت : لا يقتل حتى تقتلونني ، فرق لها وجههم إلى الشام ، فلما قدموا على يزيد ، جمع من كان بحضرته ، وهنأوه ؛ فقام رجل أحمر أزرق ونظر إلى صببية منهم فقال : هبها لي يا أمير المؤمنين ، فقالت زينب : لا ولا كرامة لك ، إلا أن تخرج من دين الله فقال له يزيد : كُف . ثم أدخلهم إلى عياله فجهزهم وحملهم إلى المدينة ^(١) .

وعن محمد بن حسن : لما نزل عمر بن سعد بالحسين خطب أصحابه ، وقال : قد نزل بنا ما ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتشكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصيابة الإناء ، وإلا خيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله ، إنني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا نداماً ^(٢) .

وعن أبي معشر : عن رجاله قال : قال الحسين حين نزلوا كربلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا : كربلاء . قال : كرب وبلاء . وبعث عبيد الله لحريه عمر بن سعد ، فقال : يا عمر ! اختر مني إحدى ثلاث ؛ إما أن

(١) البداية لابن كثير [١٩٤/٨] .

(٢) قال الأرنؤوط : الخبير في « الطبراني » برقم [٢٨٤٢] ، و« الحلبي » [٣٩/٢] ، و« الطبري » [٤٠٤،٤٠٣/٥] .

تتركني أرجع ، أو فسيرني إلى يزيد ، فأضع يدي في يده فإن أبيت فسيرني إلى الترك ، فأجاهد حتى أموت فبعث بذلك إلى عبيد الله ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال له شمر بن ذي الجوشن : لا إلا أن ينزل على حكمك ، فأرسل إليه بذلك فقال الحسين والله لا أفعل وأبطأ عمر عن قتاله فبعث إليه عبيد الله شمر بن ذي الجوشن فقال : إن قاتل وأل فاقته ، وكن مكانه (١) وكان من جند عمر ثلاثون من أهل الكوفة ، فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلون واحدة ! وتحولوا إلى الحسين ، فقاتلوا (٢) .

وعن عبادة بن العوام ، عن حصين قال : أدركت مقتل الحسين فحدثني سعد بن عبيدة ، قال : رأيت الحسين وعليه جبة برود ، رماه رجل يقال له عمرو بن خالد الطهوي بسهم ، فنظرت إلى السهم في جنبه (٣) .

وقال عطاء بن مسلم الحلبي : قال السدي : أتيت كربلاء تاجراً ، فعمل لنا شيخ من طي طعاماً فتعشينا عنده ، فذكرنا قتل الحسين ، فقلت : ما شارك أحد في قتله إلا مات ميتة سوء . فقال : ما أكذبكم ، أنا ممن شرك في ذلك فلم نبرح حتى دنا من السراج وهو يتقد بنفط ، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه ، فأخذت النار فيها فذهب يطفئها بريقه فعلقت النار في لحيته فعدا ، فألقى نفسه في الماء ، فرأيت أنه كأنه حممة (٤) .

عن عمار بن أبي عمار ؟ قال : سمعت أم سلمة تقول سمعت الجن يبكين على الحسين وتنوح عليه (٥) .

عن أبي جناب الكلبي قال أتيت كربلاء ، فقلت لرجل من أشرف العرب : بلغني أنكم تسمعون نوح الجن . قال : ما تلقى حراً ولا عبداً إلا

(١) تهذيب ابن عساکر [٣٣٨/٤] .

(٢) تهذيب ابن عساکر [٣٣٨/٤] .

(٣) تهذيب ابن عساکر [٣٣٨/٤] .

(٤) تهذيب ابن عساکر [٣٤٣/٤] .

(٥) في معجم الطبراني [٢٨٦٧] ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي [١٩٩/٩] .

أخبرك أنه سمع ذلك قلت فما سمعت أنت ؟ قال : سمعتهم يقولون :

مسح الرسول جبينه فله يريث في الخدود
أبواه من عليا قريش وجدّه خير الجدود^(١)

عن يونس بن حبيب قال : لما قتل عبيد الله الحسين وأهله . بعث برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرَّ بقتلهم أولاً ، ثم لم يلبث حتى ندم على قتلهم ، فكان يقول : وما عليّ لو احتملت الأذى ، وأنزلت الحسين معي وحكمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهنّ ، حفظاً لرسول الله ﷺ ورعاية لحقه . لعن الله ابن مرجانة - يعني عبيد الله - فإنه أخرجه ، واضطره ، وقد كان سأل أن يخلي سبيله أن يرجع من حيث أقبل ، أو يأتيني ، فيضع يده في يدي ، أو يلحق بشعر من الثغور ، فأبى ذلك عليه وقتله فأبغضني بقتله المسلمون ، وزرع لي في قلوبهم العداوة .

وعن شهر بن حوشب ، قال كنت عند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين أنها قتل الحسين ، فقالت : قد فعلوها ؟ ! ملا الله بيوتهم وقبورهم ناراً ووقعت مغشبة عليها ، فقصنا .

وعن أبي حمزة بن يزيد الحضرمي قال : رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهنّ ، يقال لها : ربا ؛ حاضنة يزيد ، يقال : بلغت مئة سنة . قالت : دخل رجل على يزيد ، فقال : أبشر فقد أمكنتك الله من الحسين ، وجيء برأسه ، قال : فوضع في طست ، فأمر الغلام ، فكشف ، فحين رآه خمر وجهه كأنه شم منه فقلت لها : أقرع ثنياه بقضيب قالت : إي والله .

ثم قال حمزة وقد حدثني بعض أهلنا أنه رأي رأس الحسين عصلوباً بدمشق ثلاثة أيام .

وحدثني ربا ؛ أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان فبعث فجيء به وقد بقي عظماً أبيض ، فجعله في سفظ ، وطيبه ، وكفنه ،

(١) في معجم الطبراني [٢٨٦٥، ٢٨٦٦] وقال الهيثمي فيه «المجمع [١٩٩/٩] : فيه من لم أعرفه ، وأبو جناب مدلس ، وهو في تهذيب ابن عساكر [٣٤٤/٤] ، والبداية [٢٠٠/٨] .

ودفنه في مقابر المسلمين . فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه فإله أعلم ما صنع به وذكر باقي الحكاية وهي قوية الإسناد .

وقال الليث : أبي الحسين أن يستأسر حتى قتل بالطف ، وانطلقوا بينه علي ، وفاطمة ، وسكينة إلى يزيد ، فجعل سكينة خلف سريره لثلاث ترى رأس أبيها وعلي في غل ، فضرب علي ثنيتي الحسين ، وتمثل بذلك البيت .

فقال علي : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ الآية [الحديد : ٢٢] .

فثقل علي يزيد أن تمثل ببيت ، وتلا علي آية . فقال بل : ﴿ قِيمًا

كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ ﴾ [الشوري : ٣٠] .

فقال : أما والله لو رأنا رسول الله ﷺ لأحب أن يخلينا . قال :

صدقت ، فخلوهم . قال : ولو وقفنا بين يديه لأحب أن يقربنا . قال :

صدقت ، قربوهم . فجعلت سكينة وفاطمة تتطاولان لتريا الرأس وبقي يزيد

يتطاول في مجلسه ليستره عنهما ثم أمر لهما بجهاز ، وأصلح آلتهم ، وخرجوا إلى المدينة ^(١) .

وعن يزيد بن أبي زياد ، قال : لما أوتي يزيد برأس الحسين ، جعل

ينكت به ، ويقول : ما كنت أظن أبا عبد الله بلغ هذا السن ، وإذا لحيته

ورأسه قد نصل من الخضاب .

وممن قتل مع الحسين : إخوته الأربعة ؛ جعفر ، وعتيق ، ومحمد ،

والعباس الأكبر . وابنه الكبير علي ، وابنه عبد الله ، وكان ابنه علي زين

العابدين مريضاً ، فسلم وكان يزيد يكرمه ويرعاه .

وقتل مع الحسين ، ابن أخيه القاسم بن الحسن ، وعبد الله وعبد

الرحمن ابنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، ومحمد وعون ابنا عبد الله بن

جعفر بن أبي طالب .

عن محمد بن علي عن أبيه ، قال : قتل الحسين ، وأدخلنا الكوفة

فلقينا رجل فأدخلنا منزله ، فألحفنا فنمت فلم أستيقظ إلا بحس الخيل في

(١) في معجم الطبراني (٢٨٠٦) .

الأزقة ، فحملنا إلى يزيد ، فدمعت عينه حين رآنا ، وأعطانا ما شئنا ، وقال : إنه سيكون في قومك أمور ، فلا تدخل معهم . فلما كان يوم الحرة ما كان ؛ كتب مع مسلم بن عقبة بأمانني ، فلما فرغ من القتال مسلم ، بعث إلي فجئته فرمى إلي بالكتاب ، وإذا فيه : استوصِ بعلي بن الحسين خيراً ، وإن دخل معهم في أمرهم ، فأمنه ، واعف عنه وإن لم يكن معهم ، فقد أصاب وأحسن . فأولاد الحسين هم ؛ علي الأكبر الذي قُتل مع أبيه ، وعلي زين العابدين ، وذريته عدد كثير ، وجعفر ، وعبد الله ولم يعقبا . فولد لزين العابدين الحسن والحسين مائتا صغيرين ، ومحمد الباقر ، وعبد الله ، وزيد ، وعمر ، وعلي ، ومحمد الأوسط ولم يعقبا ، وعبد الرحمن ، وحسين الصغير ، والقاسم ولم يعقبا .

